

كتاب شهري يصدر عن
رابطة العالم الإسلامي

الرحمة المهداة
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

د / نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني

شعبان ١٤١٧هـ - العدد ١٧٦ السنة الخامسة عشرة





آية وحديث

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

«سورة الأنبياء» .

وقال نبي الهدى والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم :

[إنما أنا رحمة مهداة]

رواه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ١٥٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه .



تقـــديم

الحمد لله الذي شرح صدورنا بالإيمان وهدانا للإسلام، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وأفضل الصلاة، وأزكى السلام على المبعوث رحمة للعالمين، أشرف خلق الله نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الناس أجمعين، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

فصلى الله وسلم وبارك على هذا النبي الأمي وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن قضية الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا أرسله ربُّ العزة - تبارك وتعالى - يهدي به الخلق إلى الحقِّ قضية ينبني عليها سعادة الناس أو شقاوتهم في الحياة الدنيا كما يبني عليها مصيرهم في الآخرة إلى جنة ونعيم، أو إلى نارٍ وجحيم، فمن آمن به واتبع هداه فقد فاز بسعادة الدارين، ومن كفر به وصدَّ عنه فقد خاب وخسر وكان من الأشقياء التعساء في الدنيا والآخرة.

وإنَّ العالم اليوم يعيش في أمواج من الفتن والمحن والصراعات المريرة المدمرة والمشكلات المتنوعة المعقدة والمستعصية، وأيم الله لا سبيل إلى حلِّها جذريا واستئصالها واستبدالها مودة وإخاء ورحمة وتعاونا في السراء والضراء إلا عن طريق محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم.

ولقد أدرك هذه الحقيقة وآمن بها كثير من عقلاء الناس ومنصفيهم قديما وحديثا.

منهم الكاتب الروائي والفيلسوف الايرلندي الشهير «جورج برناردشو» الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٥م، حيث قال: لو كان محمد حيًّا بين ظهرانينا لوسعه أن يحل مشكلات العالم ريثما يتناول فنجانا من القهوة. انتهى «على حد تعبيره». واقول كما قال أبوبكر الصديق - رضي الله عنه -: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لايموت، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٤٤] فالمقصود الأعظم والغاية الكبرى من إيجاد الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - وتربيته وإعداده هو بعثه وإرساله للناس كافة بهذا القرآن المجيد والشرع المطهر والدين الحنيف الذي جاهد وضحَّى في سبيل نشره والدعوة إليه حتى أتاه اليقين، وهذا الكتاب والشرع والدين باق ما بقي الليل والنهار، ظاهر على الدين كله ولو كره الكافرون، ونحن نشهد لله بالوحدانية ولمحمد - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة، ونسأل الله - بعفوه وإحسانه - أن يميتنا على ذلك، ويحشرنا تحت لواء عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)** ﴾ [**الشعراء**].

وإنَّ الناس اليوم بحاجة ضرورية وماسة أكثر من أي وقت مضى

للإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واتباع هديه وشريعته، وإنَّ مآسي البشرية المتنوعة ستستمر وتتعقد أكثر فأكثر إذا هم لم يبادروا باعتناق الإسلام ونبذ ما سواه، وتطبيقه وإنفاذ أمر الله ونهيه في كل شؤون الحياة الخاصة منها والعامة على مستوى الأفراد والجماعات والدول.

ومن هنا ندرك سرَّ بشارة إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لإممهم ببعثته وأمرهم إياهم بالإيمان به واتباعه إن هم أدركوه.

نعم، لقد بشَّرت التوراة والإنجيل بمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقرأ أحبار اليهود والنصارى وعلماؤهم وصفه الذي لايشاركه فيه أحد والذي ورد في التوراة والإنجيل، والذين أدركوا محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أيقنوا أنه هو النبي الخاتم الذي بُشِّروا به وأنَّ أوصافه التي قرؤُوها في كتبهم المنزلة تنطبق عليه تماما بعد اختبار وإمعان نظر، فمن آمن به وصدقه سعد ومن جحده وأعرض عنه فقد خاب وخسر وجزاؤه جهنم يصلاها وبئس القرار، أعاذنا الله والمسلمين من نار جهنم.

ولقد كان المؤمل في اليهود والنصارى - وهم أهل الكتاب الأول - أن يكونوا أسعد الناس برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وأولاهم بالإيمان به وأحراهم بطاعته واتباعه، لأنهم على علم سابق به وببعثته، وقد أمرهم أنبياؤهم باتباعه وطاعته، ثم إنهم أهل دين وكتاب منزّل، وأتباع نبيٍّ مرسل، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم، بل وللعالم بأسره، ولكن - مع الأسف

- نكصوا[1] على أعقابهم وتولّوا وهم معرضون، وسبقهم إلى الإيمان بهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - مشركو العرب وجاهليوهم، عبدة الأوثان، فكانوا أسعد الناس به - صلى الله عليه وسلم - وصاروا - به - خير أمَّةٍ أُخرجت للناس، وتحولوا من رعاة للإبل والغنم إلى قادة ورعاة للأمم.

وموضوع هذا الكتاب، قد كتب فيه علماء الإسلام قديما وحديثا، فرغبت في أن أدلو بدلوي بين الدلاء وأن أُسهم - متشرفا - في نُصرة الحقِّ وإظهاره والدعوة إليه فكتبت هذا الكتاب رسالة إلى من يهمه الأمر لعل الله - بمنِّه وكرمه - ينفع به فأصيب بذلك أجرا، وحسبي أنني قصدت ما ذكرت آنفا، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

كتبه أبو عبد الكريم

نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني

غرة ربيع الأول ١٤١٧هـ

مكة المكرمة

---

(١) نكص على عقبيه نكوصا - من باب قعد -: رجع، والنكوص: الإحجام عن الشيء. «المصباح المنير». نكص.

مدخل

إن بعثة رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إلى النَّاس بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا من أكبر القضايا الكونية الإلهية الربانية وأعظمها شأنا في الوجود الإنساني، بل في حياة جميع الكائنات منذ بدء الخليقة وإلى قيام الساعة حيث يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ولقد كانت بعثته - صلى الله عليه وسلم - منعطفا غيَّر مسار الحضارة الإنسانية وأثَّرت تلكم البعثة المباركة في هذه الحضارة تأثيرا نوعيا فوجَّهتها الوجهة الروحية والعلمية والإنسانية وربطتها ربطا محكما بالمصير الأُخروي، وبنت جميع توجُّهاتها على حقيقة التوحيد، حقيقة: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله).

ولعظم شأن هذه الرسالة المحمدية وأهميتها وكمالها وهيمنتها على جميع الرسالات - حيث خُتمت بها الرسالات والنبوَّات والكتب والشرائع المنزلة - بشَّر الأنبياء والمرسلون أُممهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وورد اسمه وصفته في كتبهم المنزلة وعرفه أحبارهم وعلماؤهم حقَّ المعرفة، وأخذ الله - سبحانه وتعالى - العهود والمواثيق عليهم بأن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وينصروه إذا هو بُعث فيهم.

ولبيان هذه الحقيقة ونصرتها فسأورد نصوصا صحيحة وصريحة من الكتب المنزلة ومن الأحاديث الشريفة والآثار المَنيفَة الدالة - بما لايدع مجالا للشك والارتياب - في نفوس العقلاء المَنصفين الذين

تهمّهم الحقيقة ولا يخافون في الله لومة لائم - على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة بعثته، ولزوم الإيمان به واتباعه.

وأعظم النصوص مصداقية وأمانة ووضوحا وبيانا نصوص القرآن الكريم، ذلك لأنه ﴿ **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)** ﴾ [فصلت] ولأن مُنزِّله - سبحانه وتعالى - تعهد بحفظه وصيانته من عبث العابثين وتغيير المحرِّفين فقال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)** ﴾ [الحجر].

ولأنه حافظ للحقِّ والحقائق التي سلفت، ومهيمن عليها، فأيُّ خلاف أو اختلاف في الكتب السابقة وشرائعها يُصحَّح ويحسم النزاع فيه بما ورد في القرآن الكريم[1] فهو الميزان الدقيق لتصحيح العقائد والمفاهيم والقيم، قال تعالى - مخاطبا رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم -:

﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ**[2] **بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**[3] **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا (٤٨)** ﴾ [المائدة].

وتفسيرا لقوله تعالى: ﴿ **وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ** ﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنه -: أي مؤتمنا عليه، والمهيمن: الأمين، فالقرآن أمين على كل كتاب قبله.

---

(١) فهو من أعظم النعم على الحضارات البشرية وعلى التاريخ الانساني وعلى الشرائع السماوية، لأنه حفظ لكل حقيقته وحقه، فلله الحمد.

(٢) أي القرآن الكريم.

(٣) أي من الكتب المتقدمة التي بشرت بنزول القرآن، فكان كما أخبرت.

قال ابن جرير: القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل[1]. وورد عن ابن عباس - أيضا - في تفسير ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: أي شهيدا. كما ورد عنه: أي حاكما على ما قبله من الكتب[2].

ثم إن الكتب المقدسة لدى اليهود والنصارى قد حرَّفها أتباعها وغيَّروا الكلم عن مواضعه وطمسوا فيها كثيرا من الحقائق وبخاصة ما كان متعلقا برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، حسدا وبغيا، ثم إنها تعددت نسخها وتباينت واختلفت في نصوصها بعضها عن بعض، فكيف والحالة هذه يمكن الاطمئنان إليها والاعتماد عليها والركون إلى نصوصها؟!

فالتوراة التي بأيدي النصارى تخالف التوراة التي بأيدي اليهود، والتي بأيدي السامرة تخالف هذه وهذه، يعلم ذلك من وقف عليها.

والنصارى لايقرون أن الانجيل منزل من عند الله على المسيح وأنه كلام الله؛ بل كل فرقهم مجمعون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة، ولايعرفون الإنجيل غير هذا:

إنجيل متى: ألَّفه متَّى تلميذ المسيح بعد تسع سنين من رفع

---

(١) نقلا عن ابن كثير ٢/ ٦٨، وفي الطبري ١٠/ ٣٧٨ عن ابن جريج عن آخرين قريب منه.

(٢) انظر الطبري: ١٠/ ٣٧٧-٣٨٢ وابن كثير: ٢/ ٦٨. وقال: وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم «المهيمن» يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم - الذي أنزله - آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها، وتكفل - تعالى - حفظه بنفسه الكريمة فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر].

المسيح وكتب بالعبرانية .

وإنجيل مرقس : ألَّفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث وعشرين سنة من رفع المسيح ، وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية من بلاد الروم .

وإنجيل لوقا : ألَّفه لوقا الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون بعد تأليف مرقس .

وإنجيل يوحنَّا : ألَّفه يوحنَّا تلميذ المسيح بعد ما رفع المسيح ببضع وستين سنة ، كتبه باليونانية .

وكل واحد من هذه الأربعة يسمونه : الإنجيل .

وبينها من التفاوت والزيادة والنقصان ما يعلمه الواقف عليها ، وكيف يعقل أن يكون في الإنجيل الذي أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام احبار النصارى ، وغايته أن يكون من كلام الحواريين خلطوه بالإنجيل وسموا الجميع إنجيلا .

والتوراة التي بأيدي اليهود هي الأخرى فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لايخفى على الراسخين في العلم ، وأحبار اليهود وعلماؤهم يعلمون - قطعا - أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى ولا في الانجيل الذي أنزله على المسيح(١) .

إنَّ في التوراة من التحريف والتبديل ، وساقط القول وسفيه الكلام ما لايجوز نسبته إلى آحاد الناس ناهيك عن خواصهم فكيف

(١) انظر هداية الحيارى لابن القيم : ٤٨ و٤٩ .

يستساغ أن ينسب إلى أنبياء الله ورسله بل كيف يسمح العقل والخلق من أن تُنسب الترهات إلى الله - سبحانه وتعالى - خالق الخلق ومدبر الكائنات وإليه المرجع والمصير.

لاشك أن التوراة التي أُنزلت على سيدنا موسى - عليه السلام - بريئة ونقية من هذه الافتراءات والخرافات كيف وقد وصفها الله - عز وجل - في قرآنه الكريم بأنه - سبحانه - أنزلها وفيها هدىً ونور؛ يحكم بها النبيون فقال عز من قائل:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤) ﴾ [المائدة].

كذلك وصف الله - سبحانه وتعالى - الإنجيل الذي آتاه عيسى ابن مريم بأن فيه هدىً ونوراً ومصدِّقا لما بين يديه من التوراة فقال عز وجل:

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴾ [المائدة].

ثم أمر أهل الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله في إنجيلهم ومن ذلك: الإيمان بمحمد عبده ورسوله واتباع هديه - صلى الله عليه وسلم - كما أمر اليهود من قبل، فقال سبحانه:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤٧) ﴾ [المائدة].

وقال ربّ العزة تبارك وتعالى واعدا إياهم بنعيم الآخرة وسعادة الدنيا وبركتها إن هم آمنوا واتقوا وأقاموا التوراة والإنجيل:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦) ﴾ [المائدة].

فأين توراة الهدى والنور والحق والعدل التي يحكم بها النبيون من توراة فيها سبٌّ لله رب العالمين وشتمٌ وقذفٌ لأنبيائه المرسلين وتحريف وطمس لحقائق الموقنين، وإليك الأمثلة:

أما الأولى: ففيها «أن الله تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض».

وفيها: «أن الله بكى على الطوفان حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة». تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأما الثانية: ففيها «أن لوطا - رسول الله - خرج من المدينةوسكن في كهف الجبل، ومعه ابنتاه فقالت الصغرى للكبرى قد شاخ أبونا فارقدي بنا معه لنأخذ منه نسلا، فرقدت معه الكبرى ثم الصغرى، ثم فعلتا ذلك في الليلة الثانية وحملتا منه بولدين: مواب، وعمون».

فهل يستساغ عقلا أيها العقلاء، ودينا يا أهل الدين وخلقا يا ذوي الأخلاق النبيلة أن يكون نبيٌ رسولٌ كريمٌ على الله يوقعه الله - سبحانه - في مثل هذه الفاحشة العظيمة في آخر عمره، ثم يذيعها

عنه ويحكيها للأمم!!

وأما الثالثة: ففيها «أن الله قال لابراهيم: إذبح إبنك بكرك إسحاق».

وهذا من كذبهم وافترائهم على الله، فانظر أيها اللبيب كيف جمعوا بين النقيضين، فإنَّ بكره هو إسماعيل فإنه بكر أولاده، وإسحاق إنما بُشِّرَ به على الكبر بعد قصة الذبح(1). وإنما فعلوا ذلك حسدا وبغيا أن تكون هذه المنقبة في غيرهم.

لكل ما سبق ذكره فإن طالب الحقيقة والباحث عنها في مجال الأديان والنبوَّات والعقائد والسمعيات وما أشبه يتعين عليه - لكي لايحيد عن السبيل الموصل إليها - أن يلجأ إلى كتاب الله العزيز القرآن الكريم، فسوف يجد فيه بغيته كاملة غير منقوصة، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [النمل].

ويقول سبحانه:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء].

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

هذا وسوف يكون الحديث في هذا الكتاب في بابين وفصول وخاتمة - إن شاء الله -:

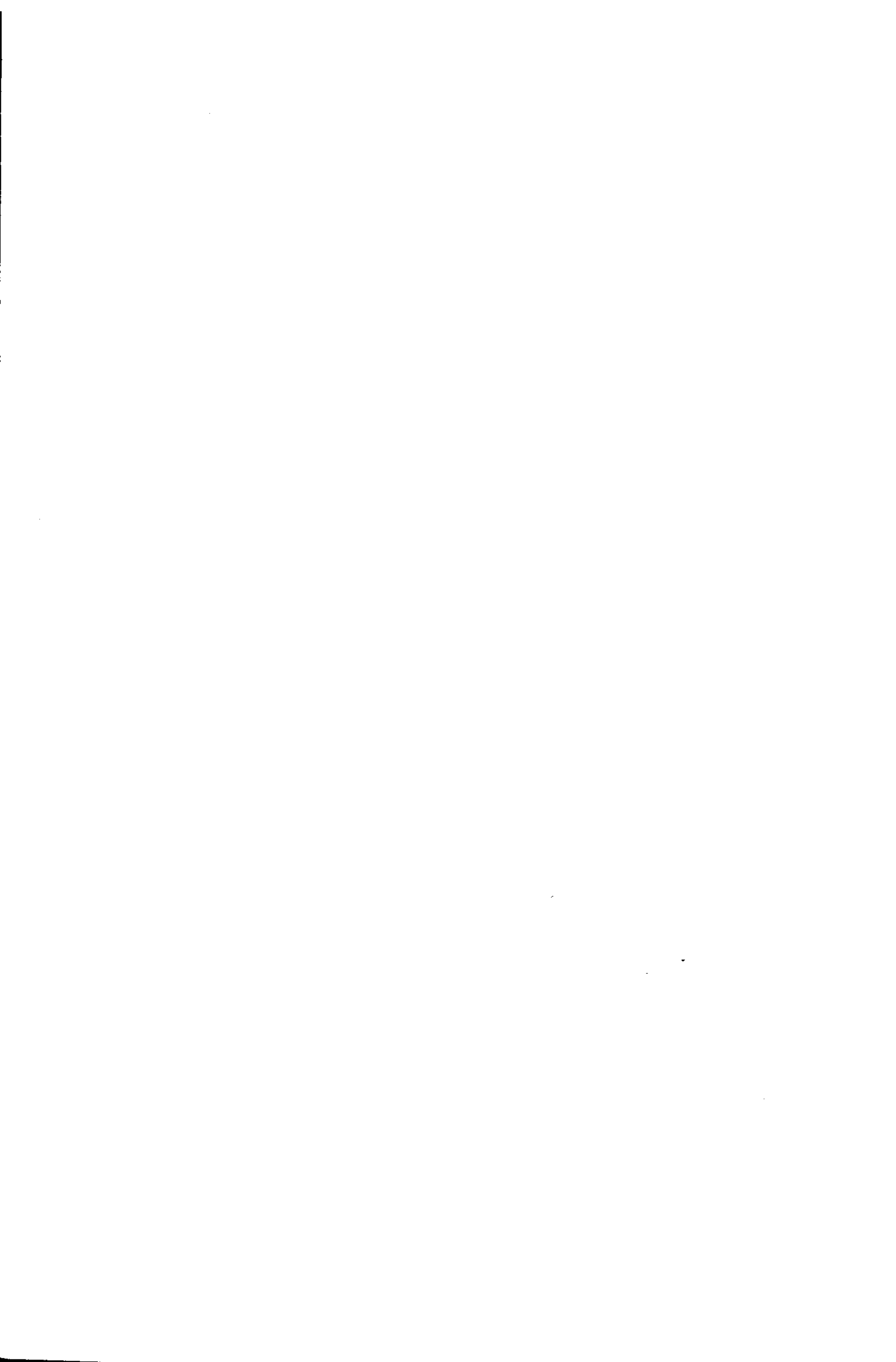
---

(1) انظر - في كل ما مضى من أمثلة - هداية الحيارى: ١٠٧-١٠٨.

الباب الأول
الرحمة المهداة
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على ثلاثة فصول :

- الفصل الأول : لمحات من سيرته العطرة
- الفصل الثاني : في امتنان الله عز وجل ببعثة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وامرهم بالايمان به وطاعته
- الفصل الثالث: وجوب الإيمان برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وطاعة أمره واتباع هديه



الفصل الأول
لمحات من سيرته العطرة

الولادة والنسب:

في صبيحة يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول من العام الذي غزا فيه أبرهة[1] مكة والذي عرف بعام الفيل، وهي سنة ٥٧٠[2] من ميلاد المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - ولدت آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشية «محمدا»[3] من زوجها عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي.

وُلد محمدٌ في بيت هو أشرف بيت في العرب، جدُّه إسماعيل الذبيح ابن خليل الرحمن: إبراهيم عليهما السلام.

النشأة والتربية:

ونشأ يتيما، فقد مات أبوه عبد الله قبل ولادته، ثم ماتت أمّه وله

---

(١) أبرهة الأشرم: ملك اليمن الحبشي حاول هدم الكعبة المشرفة مستخدما في عدوانه الفيلة فدمره الله - عز وجل - وأهلكه هو وجنوده، وفي القرآن الكريم سورة الفيل «السورة الخامسة بعد المائة» ذكر الله تعالى فيها هذه الحادثة.

(٢) هذا هو المشهور في كتب السيرة، لكن المحققين: محمود باشا الفلكي المصري، ومحمد سليمان المنصور فوري قالا: إن ولادته الميمونة - صلى الله عليه وسلم - كانت يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول الموافق للعشرين من نيسان «ابريل» سنة ٥٧١م. وانظر: السيرة النبوية للعلامة أبي الحسن علي الندوي: ٨٥-٨٦، والرحيق المختوم للشيخ صفي الدين المباركفوري: ٦٢.

(٣) هو رسول الله ابوالقاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب «شيبة» بن هاشم «عمرو» بن عبد مناف «المغيرة» بن قصي «زيد» بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر «واسمه قريش وإليه تنسب القبيلة» بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة «عمرو» ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أُدّ «ويقال: أُدَد» بن مقوِّم بن ناحور بن تَيْرَح ابن يعرب بن يَشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن. «انظر: سيرة ابن هشام: ١/١-١٢، بتحقيق مصطفى السقا وصاحبيه».

من العمر ست سنوات، وعاش في كنف جدّه عبد المطلب، ثم في كنف عمه أبي طالب.

وقد أمضى محمد في الصحراء عند بني سعد سنيَّه الأربع الأولى فنشأ قويّا، سليما، فصيحا، جريئا، شجاعا غير هيّاب.

وكانت النجابة معروفة فيه منذ الصغر، ومخايل الفطنة والذكاء تلوح على محيّاه.

رعى الغنم لأهل مكة في فتوته، وما من نبيٍّ إلاّ قد رعى الغنم.

ولقد حفظه الله - سبحانه - وعصمه من لهو الشباب وعبثهم حتى أنه سمع ذات مرة غناءً ينبعث من دار بمكة بمناسبة عرس فحدثته نفسه في حضوره ومشاهدته فألقى الله - تعالى - عليه النوم، فما أيقظه إلا حرُّ الشمس.

ولم تنكشف له عورة أمام أعين الناس منذ أن كان طفلا صغيرا.

ولم يَعبُدْ - قطُّ - وثناً كما كان يفعل قومه، ولا أكل من شيء تُقُرِّب به إلى الأوثان، وما شرب خمرا، ولا لعب ميسرا، ولا تكلم بكلمة فحش، ولانطق بساقط من الكلام.

ولقد كان معروفا منذ نعومة أظفاره بحسن الخُلُق، ورجاحة العقل، وسمتِ الهيبة والوقار.

وكان معروفا في شبابه بين قومه بالصادق الأمين، فاذا قيل: جاء الصادق، أو قال الأمين فالمراد بذلك محمدٌ ولا أحد سواه.

كل ذلك رغّبَ المرأة الشريفة الوجيهة الثرية: خديجة بنت خويلد القرشية في اتجاره بمالها ثم الزواج منه[1].

---

(١) وكان سنُّه خمسة وعشرين سنة، بينما كانت خديجة في الأربعين، وأرملة لأبي هالة.

بعثته صلى الله عليه وسلم :

ولقد وَقَر في نفسه حبّ الخلوة والتفكُّر في آلاء الله وآثار قدرته قبل بعثته فكان يأوي إلى غار جبل حراء[1] يتحنّث فيه الأيام والليالي ذوات العدد، واستمر على ذلك حتى نزل أمين الوحي جبريل رسولا من رب العالمين بالقرآن الكريم على قلب محمد ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين إلى الناس أجمعين.

نزل عليه جبريل - عليه السلام - بالوحي في يوم الإثنين لسبع عشرة خلت من رمضان، بعد أن تمّ له - صلى الله عليه وسلم - من العمر أربعون عاما[2].

فبدأ بقومه وعشيرته الأقربين فدعاهم إلى عبادة الله - عز وجل - وتوحيده في العبادة ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وحذّرهم النار وسوء العاقبة إن لم يؤمنوا، وبشرهم بالجنة وسعادة الأبد إن هم آمنوا به واتبعوا النور الذي أُنزل معه، وأمرهم بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سيّئها، أمرهم بالصدق، والأمانة، والعفّة، والإحسان إلى الجار، والأرملة واليتيم، ومساعدة الملهوف والحب في الله والتعاون على البر والتقوى، والإيثار، والوفاء بالعهد، ونهاهم عن الفواحش وأسباب الفتن ما ظهر منها وما بطن، نهاهم عن شرب الخمر لأنه مفسدة للعقول، ومضيعة للقيم والأموال، كما نهاهم عن الزنا، وانتهاك الأعراض، ونهاهم عن أكل أموال الناس بالباطل، نهاهم

---

(١) على مشارف مكة الشرقية، ويسمّى اليوم: جبل النور.

(٢) انظر السيرة النبوية للدكتور مصطفى السباعي: ٤٣؛ والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي: ١٠٠.

عن السرقة والرشوة، وعن الربا، وعن القمار، وعن غصب الأموال، كما نهاهم عن اللهو واللعب إلا في مناسبات وبشروط معيَّنة، فآمن به مَنْ آمن، وكفر به من كفر، آمن به الضعفاء والمضطهدون وأصحاب الفطَر السليمة، والعقول الراجحة، وكفر به الطغاة والعتاة والظلمة وأَصحاب الأهواء والزعامات والمصالح الدنيوية الدنيئة، والسفهاء من الناس.

موقفهم وموقفه:

وواجه من الكافرين الظلم، والعدوان، والأذى، والافتراء، والكذب عليه وعلى دين الله الذي بُعث به، فصبر - صلى الله عليه وسلم - وصابر ورابط وثابر، ولم يُثنِه ظلمهم وطغيانهم وأذاهم عن تبليغ رسالة ربه.

وكان يعرض نفسه على الناس معرِّفا بها ومبيِّنا الدين الذي أرسله الله - عز وجل - به، فلم يزدادوا إلا طغيانا وكفرا، حتى أرسل الله تعالى إليه مَلَكَ الجبال يقرئه السلام ويعرض عليه - إن شاء - أن يطبق على الكافرين أَخْشَبَي[1] مكة فعل، فقال - صلى الله عليه وسلم -: (بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا)[2].

---

(١) جبلاها المحيطان بها: أبو قبيس، وقعيقعان.

(٢) متفق عليه؛ صحيح البخاري «الفتح»: ٦/ ٣١٢-٣١٣، ح: ٣٢٣١، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء . . .، كتاب بدء الخلق؛ وصحيح مسلم: ٣/ ١٤٢٠، ح: ١١١، باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - من أذى المشركين والمنافقين، كتاب الجهاد والسير؛ وانظر فقه السيرة لمنير: ٢٥٦.

إسراؤه ومعراجه:

وأسرى الله - سبحانه وتعالى - به - صلى الله عليه وسلم - من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى المبارك بفلسطين، ثم عُرِّج به من هناك إلى السموات العُلى وإلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وفُرضت عليه وعلى أُمَّته - هناك - الصلوات الخمس في اليوم والليلة إعلانا عن عظَم مكانتها، وكريم مقامها، وكبير أهميتها، إذ إنَّها فُرضت في السَماء ولم تُفرض في الأرض كباقي الشرائع، وخاطب بها ربُّ العزة تبارك وتعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - مباشرة بدون واسطة كما هو الحال في بقية الشرائع حيث أوحى الله تعالى بها إليه بواسطة الوحي أو المَلَك.

ورجع من رحلته المعجزة هذه في الليلة ذاتها مخبرا أهله وأتباعه بها واصفا لهم - بدقة - بيت المقدس - وهم يعلمون أنه لم يزره من قبل - فصدقه من صدّق وكذّبه من كذّب، بل وارتد بهذا الخبر بعض من ضعف إيمانه ممن اتبعه.

وأوّل من صدّق به - بدون تحفُّظ ولا تردد - أبوبكر - رضي الله عنه - وحينها لقّبه النبي - صلى الله عليه وسلم - بالصّدّيق[1].

بين الترهيب والترغيب:

ولقد اشتد أذى المشركين للرسول - صلى الله عليه وسلم - ولمن آمن به والرسول - صلى الله عليه وسلم - ماضٍ في دعوته إلى الله لايخاف لومة لائم.

---

(١) راجع في حادثة الاسراء والمعراج: السيرة لابن هشام: ١/ ٣٩٦-٤٠٨.

ولاقى أصحابه - رضي الله عنهم - من قومهم الأمرّين، فبلال الحبشي يخرجه مولاه «أُميّة بن خلف» إذا اشتد حرّ الظهر، فيلقيه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له أميّة: لا، والله لاتزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعُزّى، فيردد بلال - وهو في تلك المأساة -: أَحَدٌ أحد. إلى أن خلّصه أبوبكر الصديق من تلك المحنة حيث اشتراه من أميّة واعتقه[1].

وياسر وزوجه سمية وابنهما عمّار لاقوا من بني مخزوم ما لاقاه بلال وأكثر، فيمر بهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهم يعذّبون، ويقول: (صبراً آل ياسر، موعدكم الجنة) حتى قتلوا أمّ ياسر وهي صابرة محتسبة ثابتة على دينها[2].

وعلى هذه الشاكلة تعرض النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لأذى المشركين.

والمشركون وهم يُرهبون النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه لايُعدم منهم ترغيب، خاصة لما رأت قريش أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - يزيدون ولاينقصون.

جاء عتبة بن ربيعة - وهو سيد من سادات قريش - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يكلمه ويعرض عليه أمورا، لعله يقبل شيئا منها فيعطونها، ويكفّ عن دعوته، فجلس إليه وقال: يا ابن أخي، إنك منّا حيث قد علمت من السّطة في العشيرة، والمكان في

(١) انظر: السيرة للندوي: ١٠٧؛ وسيرة ابن هشام مع الروض: ٢/ ٦٧.

(٢) انظر السيرة النبوية: ٢/ ٣٨؛ والسيرة للندوي: ١٠٦.

النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منّي أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قُل يا أبا الوليد، أسمع.

قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا، جمعنا لك من أموالنا حتّى تكون أكثرنا مالا؛ وإن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا، حتى لانقطع أمرا دونك؛ وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه، لاتستطيع ردّه عن نفسك، طلبنا لك الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئَك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أقد فرغت يا أبا الوليد؟

قال: نعم.

قال: فاسمع منّي.

قال: أفعل.

فقال: ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ..** ﴾ [فصلت]. ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت إليها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما، يسمع منه، ثم انتهى رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - إلى السجدة منها[1]، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به.

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أنّي قد سمعت قولا - والله - ما سمعت مثله قطُّ، والله، ما هو بالشِّعر، ولا بالسِّحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني، واجعلوها بي، وخلّوا بين هذا الرجل، وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب، فملكه ملككم وعزّه عزُّكم، وكنتم أسعد الناس به.

قالوا: سَحَرَك - والله - يا أبا الوليد بلسانه.

قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم[2].

إقامة دولة الإسلام:

وبعد مضي ثلاثة عشر عاما على بعثته - صلى الله عليه وسلم - وهو في مكة يقوم بواجبه في الدعوة إلى الله تعالى هيأ الله سبحانه لنبيه داراً آمنة وأنصارا أمناء، تلك هي يثرب، وأولئك هم الأوس والخزرج[3] أهلها.

---

(١) الآية الثامنة والثلاثون من سورة فصّلت.

(٢) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف: ٢/ ٣٥؛ والسيرة للندوي: ١١٢-١١٣. ومثل هذا الحوار جرى - أيضا - بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين عدد من صناديد قريش. انظر السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٣٦-٣٧.

(٣) الأوس والخزرج: أبَوَان لقبيلتين من قبائل العرب، وهما ابنا حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي. «انظر السيرة للندوي: ١٣٣».

فهاجر نبي الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من مكة إلى المدينة «يثرب» رغم حُبّه وتعلقه بمكة، وقد أفصح عن ذلك الحب والتعلق عندما خاطبها - مغادرا - : (ما أطيبك من بلدة، وأحَبّك إليَّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك)[١].

وكان قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة من ربيع الأول للسنة الرابعة عشرة من النبوة[٢] الموافق للخامس والعشرين من أيلول «سبتمبر» سنة ٦٢٢م[٣].

وفي المدينة آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين المهاجرين الصادقين[٤] ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ..**﴾[الحشر: ٨]، وبين الأنصار المفلحين ﴿**.. الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ**[٥] **عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[٦] [الحشر: ٩].

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه على الصحيحين: ١/ ٦٦١، ح: ١٧٨٧؛ وانظر السيرة النبوية للندوي: ١٤٠.

(٢) وهي السنة الأولى من الهجرة. «الرحيق المختوم».

(٣) انظر الرحيق المختوم: ١٩٠-١٩٣، والروض الأنف: ٢/ ٢٤٥.

(٤) وصفهم الله تعالى بذلك في آخر الآية الثامنة من سورة الحشر، ولذلك احتج أبوبكر على الأنصار يوم السقيفة - في كونهم تبعا للمهاجرين - بقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]. وانظر الجامع لأحكام القرآن «تفسير القرطبي»: ٨/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية، رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة. يقال: آثرته بكذا؛ أي خصصته به وفضلته. «القرطبي: ١٨/ ٢٦».

(٦) الخصاصة: الحاجة التي تختل بها الحال.. أي ولو كان بهم فاقة وحاجة. «القرطبي: ١٨/ ٢٩».

وفي يثرب التي صار اسمها - حين تشرفت بوطء قدمي النبي، صلى الله عليه وسلم، الشريفتين تربتها - مدينة[1] النبي - صلى الله عليه وسلم - أقام - صلى الله عليه وسلم - دولة الإسلام، وجعلها القاعدة التي تنطلق منها البعوث الداعية إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له - سبحانه وتعالى -، وفي مسجده المبارك الذي أسّسه على التقوى والخير كانت تُعقد رايات الجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض ومنه تنطلق جحافل الحق والإيمان لنشر عقيدة التوحيد ولإزالة الطغيان وظلم الإنسان لأخيه الإنسان.

فأطاح بمعالم الشرك في جزيرة العرب وخلّصها من الظلم ومظاهره، وأخلصها لله رب العالمين.

الرسول القدوة:

لقد كان رسول الله محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة رجل دولة وقائد أمّة أنموذجا كاملا للإنسان الفاضل ربّاه الله على عينه، وجعله على خُلق عظيم، وجعله مثالا يتأسى ويقتدى به كلُّ إنسان يرجو الله واليوم الآخر: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** (٢١) ﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقتدي به كلُّ من يريد نجاحا وفلاحا وسعادة في الدنيا والآخرة: القائد في حنكته، وشجاعته، ورباطة جأشه، والحاكم في تحرّيه الحقّ، وعدله، والإمام في رعايته لرعيته، وتحقيق مصالحهم وإعلاء شأنهم، والرجل في بيته يحسن إلى أهله ويكون في مهنتهم،

---

(١) حتى صار إذا أطلق لفظ «المدينة» انصرف اليها.

والجار يحسن إلى جاره ويقوم بحقه، والصديق ينصح لصديقه ويتفانى في خدمته، والعابد الشاكر في عبادته، إلى آخر ما هناك من أخلاق وآداب تتعلق بالإنسان بينه وبين نفسه، وبينه وبين ربه، وبينه وبين الناس. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم] فهو الإنسان الذي كمَّل الله خَلقَه وخُلُقه - صلى الله وسلم وبارك عليه -.

وفي مدينته التي تنوّرت به - صلى الله عليه وسلم - أقام المجتمع الانساني المثالي الذي لم يشهد تاريخ البشرية له مثيلا، مجتمع المحبّة والتآخي، مجتمع التعاون والبناء، مجتمع الطهارة والنظافة الحسية والمعنوية.

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعظم، وأشرف، وأكمل، وأنبل إنسان خلقه الله، وأكرم، وأعزَّ، وأقرب إنسان إلى الله، وهذه المنزلة المنيفة والدرجة العالية الرفيعة، وهذا المنصب الذي لايفوقه إلا مقام الألوهية والربوبية، لم يزده إلا ذُلاً لله رب العالمين، وتواضعا لعباد الله الصالحين، وقهرا لأعداء الله المعاندين.

فهو في بيته خير الناس لأهله، قالت أمُّ المؤمنين عائشة - عندما سئلت: ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع في أهله؟ -: كان بشرا من البشر يُفلّي رأسه، ويحلب شاته، ويخيط ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم، ويكون في مهنة أهله - يعني خدمة أهله - فإذا سمع المؤذن خرج للصلاة[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ١١/ ١٤٨، وقال: رواه الإمام أحمد والشيخان وأبو الشيخ عن الأسود بن يزيد. وانظر مصنف عبد الرزاق، باب عمل النبي - صلى الله عليه وسلم -: ١١/ ٢٦٠؛ وفقه السيرة النبوية لمنير: ٦٩٥.

وهو القائل: **(خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)**[١].

وهو مع ربه: العبد الشكور، يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فتقول له زوجه الصدّيقة عائشة - رضي الله عنها -: لمَ تصنع هذا يارسول الله، وقد غُفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فيقول: **(أفلا أكونُ عبداً شكورا)**[٢].

ويكثر من الصيام حتى يُظنّ أنه لايفطر، فيتحرى يومي الاثنين والخميس ليصومهما، ويصوم أيام البيض الثلاثة: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر من كل شهر قمري، ويوم عاشوراء، ويوم عرفة، والأيام التسع الأولى من شهر ذي الحجة[٣].

وكان يجالس أصحابه ويزورهم ويجلس حيث ينتهي به المجلس[٤]، ويجلس على الأرض، وليس له مجلس متميز عن غيره من الجالسين حتى إن القادم الجديد لايعرفه بمجلسه إنما يعرفه بالمهابة والوقار والإشراق واحتفاء أصحابه، وكان يمشي في حاجتهم ويتفقد أحوالهم ويسألهم عن أمورهم الخاصة والعامة؛ ويمازحهم ولايقول إلا حقا.

كان - عليه الصلاة والسلام - كريما جوادا غاية في الجود والكرم ينفق على الناس وفي مصالحهم نفقة من لايخشى الفقر، وهو أوثق وأيقن بما عند الله مما في يد نفسه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ١١/ ١٤٨. وانظر مجمع الزوائد: ٤/ ٣٠٣.

(٢) متفق عليه من حديث عائشة، وعن المغيرة بن شعبة نحوه. «رياض الصالحين للنووي - باب فضل قيام الليل: ٤٢٦. ط المكتب الاسلامي».

(٣) انظر رياض الصالحين: ٤٤٥-٤٤٩.

(٤) انظر فقه السيرة لمنير: ٧٠١.

وكان شجاعا أبيّا جريئا في الحق لايهاب أحدا ولايخاف في الله لومة لائم، وكان شجعان الصحابة - رضي الله عنهم - يتقون به الأعداء ويقفون وراءه إذا حمي الوطيس واشتد القتال، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه[1].

وكان كثير الصمت دائم الفكرة، لايتكلم إلا إذا اقتضى المقام، وإذا تكلّم فهو أعذب الناس حديثا وأجمعهم للمعاني في ألفاظه فقد أوتي - صلى الله عليه وسلم - جوامع الكلم[2].

كان يضحك مما يضحك منه أصحابه، وكان ضحكه تبسّما.

وكان إذا أوذي في نفسه لاينتصر لها، وإذا اعتدي على حرمات الله فإنه لايقوم لشدة غضبه شيء[3].

ولقد غضب على حِبِّه أسامة بن زيد عندما جاءه يكلمه شافعا في المرأة القرشية المخزومية التي سرقت لئلا يقطع يدها، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(أتشفع في حدٍّ من حدود الله تعالى؟)**، ثم قام فاختطب ثم قال: **(إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ!، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[4].

---

(١) انظر شرح السنّة للبغوي: ١٣/ ٢٥٧-٢٥٨؛ وفقه السيرة لمنير: ٦٩٦.

(٢) وانظر زاد المعاد لابن القيم: ١/ ١٨٢.

(٣) قال خادم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنس بن مالك: .. وما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انتقم لنفسه من شيء إلا إن انتهكت لله حرمة، فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضبا لله .. اهـ «مجمع الزوائد: ٩/ ١٦». وفي صحيح البخاري «١/ ٥٠٣» عن عائشة مثله. وانظر الرحيق: ٥٤٥.

(٤) متفق عليه، وانظر رياض الصالحين «باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع، والانتصار لدين الله»: ٢٨٤؛ صحيح البخاري: ٨/ ٢٤، المغازي.

وفي رواية: فتلوّن[١] وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: **(أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!)**.

فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله.

وهو عليه الصلاة والسلام - في الجملة - كمالٌ كله، عدلٌ كله، وسط في الأمور كلّها لا إفراط ولاتفريط؛ وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه[٢].

وجاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادةً النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلما أُخبروا كأنّهم تقالّوها[٣]، فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عَليه وسلم -؟ قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أمّا أنا، فأنا أُصلّي الليل أبدا.

وقال آخر: أنا اصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: **(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني)**[٤].

---

(١) أي تغيّر غضبا.

(٢) وفي مجمع الزوائد «٩/ ١٦» عن أنس: .. وما عرض عليه أمران إلا اختار أيسرهما مالم يكن فيه سخط لله، فإن كان فيه لله سخط كان أبعد الناس منه .. اهـ واللفظ المثبت أعلاه أخرجه البخاري عن عائشة. انظر صحيحه: ١/ ٥٠٣؛ والرحيق: ٥٤٥.

(٣) بتشديد اللام المضمومة، أي استقلّوها، وأصل تقالّوها: تقاللوها، أي رأى كلّ منهم أنها قليلة. «فتح الباري: ٩/ ١٠٥».

(٤) متفق عليه من حديث أنس، واللفظ للبخاري؛ انظر صحيح البخاري «الفتح»، باب الترغيب في النكاح، كتاب النكاح: ٩/ ١٠٤، وصحيح مسلم، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه اليه..، كتاب النكاح: ٢/ ١٠٢٠.

الزواج وتعدد الزوجات :

والزواج مطلب غريزي فطري ليس في بني آدم فحسب ؛ بل في جميع الأحياء ، أودع الله - بحكمته - هذه الغريزة في النفوس من أجل بقاء النوع وتعبيده لله رب العالمين ، واستمرارية عملية البناء والعمران في الأرض .

والرغبة في الزواج تعتمل في نفوس الذكور والإناث على حدٍّ سواء ؛ وهي من الرغبات الفطرية المشروعة ، ومن الوظائف الحياتية للجنس البشري كما هو الحال لغيره ، خلق الله - عز وجل - آلتها وأعضاءها وحفّز النفوس لها ، وأودع في النفوس من المشاعر والأحاسيس ما يدفعها لتحقيقها .

والإسلام إذ يقر هذه الغريزة ويلبيها فقد رشّدها وحكمها بنظام فريد من الأحكام تتأتّى معه الثمرة المرجوة ويتحقق به الهدف المنشود .

والإسلام أباح للرجال الزواج بواحدة أو أكثر إلى أربع ، قال تعالى : ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ..** [1] ﴾ [النساء : ٣] .

وإنما أباح الله - عز وجل - ذلك للرجال لحِكم بالغة ، ومصالح عظيمة ندرك منها بعضها .

لقد جاء الإسلام وفي عصمة الرجل - في الجاهلية - عشر نسوة

---

(١) قال البخاري : باب ، لايتزوج أكثر من أربع ، لقوله تعالى : ﴿ **مثنى وثلاث ورباع** ﴾ ؛ وقال علي بن الحسين - عليهما السلام - : يعني مثنى أو ثلاث أو رباع . «صحيح البخاري مع الفتح : ٩/ ١٣٩» .

أو أكثر، أو أقل - بدون حد، ولا قيد - فجاء ليقول للرجال: إن هناك حداً لايتجاوزه المسلم، هو: أربع؛ وإن هناك قيدا، هو: إمكان العدل؛ وإلا فواحدة.

جاء الإسلام لا ليُطلق، ولكن ليحدد، ولا ليترك الأمر لهوى الرجل، ولكن ليقيد التعدد بالعدل، وإلا امتنعت الرخصة المعطاة.

فقد أسلم غيلان بن سلمة الثقفي وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه؛ فأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتخير أربعا منهن[1]. والحارث بن قيس الأسدي أسلم وعنده ثمان نسوة، قال: فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: **(اختر منهنّ أربعا، وفارق سائرهن)**[2].

وأسلم نوفل بن معاوية الديلي وعنده خمس نسوة فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(فارق واحدة وأمسك أربعا)**[3].

وإنما جعل الإسلام الحد الأعلى للنساء اللواتي يتزوجهن الرجل أربعا، لأن هناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة - قديما وحديثا - تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج على عدد الرجال الصالحين للزواج، ولم يعرف - تاريخيا - أن الزيادة هذه تجاوزت نسبة أربع إلى واحد، وهي تدور دائما في حدودها.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة، كتاب النكاح: ٣/ ٤٣٥، ح: ١١٢٨. قال الترمذي: والعمل على حديث غيلان بن سلمة عند أصحابنا، منهم الشافعي واحمد وإسحاق. اهـ. وانظر مجمع الزوائد: ٤/ ٢٢٣؛ وكنز العمال: ١٦/ ٣٣٠؛ والأم للشافعي: ٥/ ٢٤٣.

(٢) كنز العمال: ١٦/ ٣٢٩، وانظر سنن أبي داود: ٢/ ٢٧٢، باب فيمن أسلم وعنده نساءٌ أكثر من أربع.

(٣) الأم: ٥/ ٢٤٣.

فكيف نعالج هذا الواقع، الذي يتكرر وقوعه بنسب مختلفة؟

إن موقف عدم المبالاة، أو اعتقاد أن هذا الواقع يعالج نفسه بنفسه حسب الظروف والمصادفات، لايقول به إنسان جاد يحترم نفسه، ويحترم الجنس البشري. ولابد إذن من نظام، ولابد إذن من إجراء[1].

إن المجتمع الذي تزيد فيه نسبة النساء إلى الرجال: إما أن يقضى فيه على بعض النساء بالحرمان حتى الموت، وإما أن يباح فيه اتخاذ الخليلات، وتقر فيه جريمة الزنا، وإما أن يسمح فيه بتعدد الزوجات.

ونظن أن المرأة - قبل الرجل - تأبى حياة الحرمان والضياع، كما أنها تأبى فراش الجريمة والعصيان[2].

فلم يبق أمامها إلا أن تشارك غيرها في رجل يحتضنها، ويحميها، ويرعاها، وينتسب إليه أولادها؛ ولامناص بعدئذ من الاعتراف بمبدأ التعدد الذي صرّح به الإسلام.

ثم إن هناك اختلافا كبيرا وتفاوتا بيّنا بين الرجال في الرغبة الجنسية والحساسية إزاءها، فهناك رجال أوتوا حظا من كمال الصحة، ويقظة الغريزة، لم يؤته غيرهم.

والمساواة بين رجل بارد المشاعر بطيء الاستثارة، وآخر سريع الاستثارة، واسع الطاقة، أمر بعيد عن العدالة، ألسنا نبيح لذوي الشهية المتطلعة والرغبة في الأكل مقادير من الطعام، لانبيحها

---

(١) انظر في ظلال القرآن، طبعة دار الشروق: ١/ ٥٧٨-٥٧٩.

(٢) فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ٤٤٥. وانظر في ظلال القرآن: ١/ ٥٧٩.

للممعودين - أي مرضى المعدة - والضعفاء ومحدودي القابلية؟ فهذه بتلك.

وثَمَّ حكمة أخرى: قد تكون الزوجة على حال من الضعف، أو المرض، أو العقم، أو تأخر السن، يحتاج الرجل معه إلى امرأة أخرى تؤدي وظيفة الزوجة أداء كاملا.

فهل تُنبذ الأولى وتترك بسبب ما ألمَّ بها؟ أم أنه من الأفضل أن يبقيها زوجها في عصمته ويضم إليها الأخرى؟

إن من حق العشرة القديمة أن تبقى في كنف الرجل، وأن تأتي إلى جانبها المرأة الأخرى[1].

إن هذا الحل العادل الكريم يتعين - والحالة هذه - المصير إليه وإلا فإننا سنظلم الجانبين إن فرضنا عليهما الأمر الواقع، فنكبت الرجل ونصده عن مزاولة نشاطه الفطري، كارها هذه المرأة التي أصبح وجودها عائقا لتحقيق رغباته، متمنيا زوالها. أو نطلق لهذا الرجل العنان في أن يخادن أو يسافح من يشاء من النساء، فتنتشر الرذيلة، وتسقط الأخلاق، ويفسد المجتمع.

ثم (إن فترة الإخصاب في الرجل تمتد إلى سن السبعين أو ما فوقها، بينما تقف في المرأة عند سن الخمسين أو ما حواليها. فهناك - في المتوسط - عشرون سنة من سني الإخصاب في حياة الرجل لا مقابل لها في حياة المرأة.

وما من شك أن من أهداف اختلاف الجنسين ثم التقائهما، امتداد الحياة بالإخصاب والإنسال، وعمران الأرض بالتكاثر

---

(١) انظر فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ٤٤٦.

والانتشار. فليس مما يتفق مع هذه السّنّة الفطرية العامة أن نكف الحياة عن الانتفاع بفترة الاخصاب الزائدة في الرجال؛ ولكن مما يتفق مع هذا الواقع الفطري أن يسن التشريع - الموضوع لكافة البيئات في جميع الأزمان والأحوال - هذه الرخصة، لا على سبيل الإلزام الفردي، ولكن على سبيل إيجاد المجال العام الذي يلبي هذا الواقع الفطري، ويسمح للحياة أن تنتفع به عند الاقتضاء؛ وهو توافق بين واقع الفطرة وبين اتجاه التشريع ملحوظ دائما في التشريع الإلهي، لايتوافر عادة في التشريعات البشرية، لأن الملاحظة البشرية القاصرة لا تنتبه له، ولا تدرك جميع الملابسات القريبة والبعيدة، ولاتنظر من جميع الزوايا، ولاتراعي جميع الاحتمالات)[1].

زواجه ﷺ - وتعدد زوجاته:

ورسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - من الناحية البشرية والانسانية، هو إنسان سوي في غاية الكمال يرغب فيما يرغب فيه الأسوياء من الرجال، وله من المشاعر والأحاسيس ما عند غيره من الرجال، إلا أنه يتميز عن غيره من الأسوياء أنه يوظف رغباته ويوجه أحاسيسه لصالح الدعوة إلى الله والإعلاء من شأنها، وترسيخ دين الله في قلوب عباده وإقامته في أرضه.

فمن خصائصه - صلى الله عليه وسلم - التي اختصه الله - عز وجل - بها فضلا منه - سبحانه وتعالى -، وتكريما لنبيه - صلى الله

---

(١) في ظلال القرآن: ١/ ٥٨٠.

عليه وسلم - وتنويها بمنزلته لديه، أن أباح له أن يتزوج ما شاء من النساء.

ثم إن ذلك كان تشريفا وتكريما لنساء فضليات جاهدن وضحّين وصبرن، فاختارهن الله - سبحانه وتعالى - أن يكن زوجات لأشرف خلقه - صلى الله عليه وسلم - وأمهات للمؤمنين. أو تشريفا وتكريما - في بعض أحواله - لأوليائهن، لما أبلوه من بلاء حسن في الإسلام تضحية وجهادا ومصابرة.

أو هو تصحيح لوضع وتصور اجتماعي خاطيء، ونقض لتقليد جاهلي متأصل، وهو التبني. أو هو جبر لخواطر، ومواساة لمسلمات فقدن أزواجهن، وتُركن وأولادهن دون ولي يرعاهم ويقوم بأودهم.

أو هو حكمة سياسية يقوّي به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علاقته بأشخاص وقبائل لهم شأنهم في جزيرة العرب، مما يعود على الدعوة الإسلامية بالخير والتمكين.

فلم يكن - إذن - تعديده - صلى الله عليه وسلم - للزوجات إشباعا محضا لرغبة جنسية، أو تلبية لنداء شهوة، أو تحقيقا لمصالح دنيوية كما يزعم بعض خصوم الإسلام، ومن في قلبه مرض.

إن عدد النساء اللواتي عقد عليهن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثلاث عشرة امرأة، اثنتان توفيتا في حياته - صلى الله عليه وسلم -: خديجة بنت خويلد، وزينب بنت خزيمة «أم المساكين»؛ واثنتان لم يدخل بهما: واحدة من بني كلاب، والأخرى من كندة،

وهي المعروفة بالجونية. ومات - صلى الله عليه وسلم - عن تسع[1].

فزوجاته الفعليات اللواتي بنى بهنّ إحدى عشرة امرأة وهن على ترتيبهن في زواجه - صلى الله عليه وسلم - منهن:

١ - خديجة بنت خُوَيلد - تصغير خالد - القرشية، تزوجها - صلى الله عليه وسلم - وهي في سن الأربعين، وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وكان قد تزوجها قبله: أبو هالة، مالك بن نباش بن زرارة، ثم صارت إلى عتيق بن عائذ المخزومي.

وظل - صلى الله عليه وسلم - معها وحدها إلى أن ماتت[2]، وقد تجاوزت الخامسة والستين، ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يقارب الخمسين سنة.

وقد أنجب منها أولادا: ذكرين وإناثا أربع، وهم بترتيب الولادة: القاسم - وبه كان يُكنى -، ومات وهو ابن سنتين، ثم ولد له - صلى الله عليه وسلم - زينب، ثم رُقيَّة، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم وُلد له - في الإسلام - عبد الله - وهو الطيب والطاهر -[3].

أما زينب فتزوجها قبل الهجرة ابن خالتها: أبو العاص بن

---

(١) انظر طبقات ابن سعد: ٨/ ٢١٦-٢٢٠؛ وسبل الهدى والرشاد: ١١/ ١٤٣، وما بعدها؛ والرحيق: ٥٣٢؛ وفقه السيرة لمنير: ٦٥٠، وما بعدها.

(٢) قبل الهجرة بأربع أو خمس سنين، لسبع عشرة خلت من رمضان، ونزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حفرتها. «سبل الهدى: ١١/ ١٥٩».

(٣) انظر طبقات ابن سعد: ذكر أولاد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتسميتهم، «١/ ١٣٣».

الربيع ؛ وأما رقية وأم كلثوم فقد تزوجهما عثمان بن عفان[1] - رضي الله عنه - الثانية بعد وفاة الأولى[2] ؛ وأما فاطمة فتزوجها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد الهجرة، بين غزوتي بدر وأحد، وأولدها الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم.

٢- سودة بنت زمعة بن قيس القرشية، تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بأيام وكانت قبله عند ابن عم لها يقال له: السكران بن عمرو ابن عبد شمس، أسلم معها، وهاجرا إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلما قدما مكة مات زوجها، فلما حلّت خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، بعد العقد على عائشة، ودخل بها بمكة، ولم يدخل بعائشة إلا في السنة الثانية من الهجرة[3]. وقد ماتت سودة - رضي الله عنها - بالمدينة في آخر خلافة عمر[4].

٣- عائشة بنت أبي بكر الصديق القرشية، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لها: **(رأيتك في المنام مرّتين، أرى رجلا يحملك في سرقة حرير، فيقول: هذه امرأتك فأكشفها فإذا هي أنت، فأقول: إن يك هذا من عند الله يُمضه)**[5].

---

(١) لذلك لقب عثمان - رضي الله عنه - بذي النورين. «وانظر الأعلام للزركلي».

(٢) ثم توفيت أم كلثوم - رضي الله عنها -، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لو كانت عندي ثالثة لزوّجته، وما زوّجته إلا بوحي من الله). انظر مجمع الزوائد، باب تزويجه - رضي الله عنه -: ٩/ ٨٣، وباب ما جاء في رقية بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واختها أم كلثوم: ٩/ ٢١٦-٢١٧؛ وانظر طبقات ابن سعد: ٣/ ٥٦.

(٣) انظر سبل الهدى: ١١/ ١٩٨.

(٤) المرجع نفسه: ١١/ ٢٠٠.

(٥) رواه أحمد: ٦/ ١٢٨ و١٦١، آخر الصفحتين. وانظر سبل الهدى: ١١/ ١٦٥.

تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي بنت سبع سنين، وزُفَّت إليه وهي بنت تسع سنين، ولعب معها، ومات عندها وهي بنت ثماني عشرة سنة[1]. ولم يتزوج بكرا غيرها، وكانت أحب الخلق إليه وأفقه نساء الأمّة[2].

توفيت - رضي الله عنها - ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة سبع وخمسين، وصلّى عليها أبوهريرة، ودفنت بالبقيع[5].

٤- حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية، وكانت قبل زواجها بالنبي - صلى الله عليه وسلم - تحت خُنيس بن حُذافة السَّهمي، الذي مات بالمدينة من جراح أصابته ببدر، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره.

توفيت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين، وصلّى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة، ونزل في قبرها أخواها: عبد الله وعاصم ابنا عمر، وابناء عبد الله بن عمر: سالم، وعبد الله، وحمزة[3].

٥- زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية، وهي أمّ المساكين[4] كانت قبل أن يتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - تحت عبد الله ابن جحش فاستشهد في أحد.

---

(١) روى ذلك مسلم عنها «انظر السبل: ١١/ ١٦٧».

(٢) انظر سبل الهدى: ١١/ ١٧٤ و١٧٩؛ والرحيق: ٥٣٢.

(٣) انظر السبل: ١١/ ١٨٤ و١٨٦. والرحيق: ٥٣٢-٥٣٣.

(٤) سميت بذلك لكثرة إطعامها المساكين. «سبل الهدى: ١١/ ٢٠٥؛ الرحيق: ٥٣٣».

لم تلبث عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا يسيرا، وتوفيت بالمدينة والنبي - صلى الله عليه وسلم - حيّ، ودفنت بالبقيع في ربيع الأول سنة أربع؛ وقد بلغت نحو ثلاثين سنة، رضي الله تعالى عنها.

٦- أُمّ سلمة: هند بنت أبي أُميّة: حُذيفة[١] بن المغيرة القرشية المخزومية. كانت قبل أن يتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زوجة لأبي سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد ابن عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - برّة بنت عبد المطلب.

هاجرت أم سلمة وزوجها أبو سلمة إلى الحبشة الهجرتين، وشهد أبو سلمة بدراً وأحداً، ثم مات بجرح في أُحد برىء ثم انتقض في جمادى الآخرة سنة أربع، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين حلّت من عدّتها لعشرين بقين من شوال سنة أربع. روت أمّ سلمة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله: **(إذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها وأبدلني بها ما هو خيرٌ منها)**. قالت: فلما احتُضر أبو سلمة، قال: اللهم اخلفني في أهلي بخير. قالت: فلما قُبض قلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم عندك احتسبت مصيبتي فآجرني فيها، وأردت أن أقول: وأبدلني بها خيرا منها، فقلت: مَنْ خيرٌ مِنْ أبي سلمة؟! فما زلت حتى قلتها[٢].

فلما انقضت عدتها خطبها أبوبكر فردّته، ثم خطبها عمر فردّته،

---

(١) ويعرف بزاد الراكب، فإنه إذا سافر لم يحمل معه أحدٌ من رفقته زاداً، بل كان يكفيهم، وهو أحد أجواد العرب المشهورين. «سبل الهدى: ١١/ ١٤٤».

(٢) أي: «وأبدلني خيراً منها».

فبعث إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت: مرحبا برسول الله وبرسوله، أخبر رسول الله: أني امرأة غَيْرى، وأني مصبية[1]، وأنه ليس أحدٌ من أوليائي شاهد.

فبعث إليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(أمّا قولك: إني مصبية، فإن الله سيكفيك صبيانك؛ وأما قولك: إني غيرى، فسأدعو الله أن يُذهب غيرتك؛ وأمّا الأولياء، فليس أحدٌ منهم شاهد ولاغائب إلا سيرضاني)**. قالت: يا عمر - تعني ولدها - قم فزوّج رسول الله[2].

وفي رواية: قالت: لما خطبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قلت: إنّي فيَّ خلال لاينبغي لي أن أتزوّج رسول الله: إني امرأة مسنة، وإني أُمّ أيتام، وإني شديدة الغيرة. قالت: فأرسل إليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(أمّا قولك: إنّي امرأة مسنّة، فأنا أسنُّ منك، ولايعاب على المرأة أن تتزوّج أسنَّ منها؛ وأما قولك: إني أمّ أيتام، فإنّ كلّهم على الله وعلى رسوله، . .)**[3].

توفيت أم سلمة في ولاية يزيد بن معاوية سنة إحدى وستين، ولها أربع وثمانون سنة، وهي آخر مَنْ مات من أزواجه[4] - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله تعالى عنهن.

---

(١) أي ذات صبية، وكانت قد أنجبت من أبي سلمة: سلمة - أكبرهم - وعمر، وزينب - أصغرهم - «سبل الهدى: ١١/ ١٩١. وانظر طبقات ابن سعد: ٨/ ٨٧».

(٢) طبقات ابن سعد: ٨/ ٨٩-٩٠. وانظر سبل الهدى: ١١/ ١٨٧-١٨٩.

(٣) طبقات ابن سعد: ٨/ ٩١-٩٢.

(٤) انظر سبل الهدى: ١١/ ١٨٧ و١٩١. وفي طبقات ابن سعد (٨/ ٩٦: أنها ماتت سنة تسع وخمسين، فصلّى عليها أبو هريرة بالبقيع.

٧- زينب بنت جحش بن رياب الأسديّة، وأمّها: أميمة - بالتصغير - بنت عبد المطلب، عمّة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكان اسمها: برّة قبل زواجه منها فسمّاها زينب.

وكان زواجه - صلى الله عليه وسلم - منها في ذي القعدة سنة خمس بالمدينة وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة.

زوّجه إياها ربّه - عز وجل - من فوق سبع سموات بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة وحلّت من عدتها، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تبنّى زيداً، فأراد الله - سبحانه - أن يبطل هذه العادة الجاهلية، ويعلن للناس أن التبني لا حقيقة له وبالتالي لاتترتب عليه آثار البنوّة الصلبية الحقيقية من تحريم نساء الأبناء على الآباء إذا طلّقهنّ الأبناء، وغير ذلك.

وأولى من يقوم بمهمة الإبطال هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لأنه هو المبلّغ عن الله، ولأنه الأبلغ تأثيرا في نفوس الناس.

قال الله - تعالى - نافياً التبنّي؛ ومبطلا إياه، ومبينا ما ينبغي أن يكون عليه الأدعياء: ﴿ .. **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٤، ٥].

قال ابن كثير: نزلت - يعني الآية - في شأن زيد بن حارثة - رضي الله عنه - مولى النبي - صلى الله عليه وسلم -، كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد تبنّاه قبل النبوة، فكان يقال له: زيد بن

محمد، فأراد الله تعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿**وما جعل أدعياءكم أبناءكم**﴾ كما قال في أثناء السورة: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** (٤٠)﴾ [الأحزاب] وقال ههنا: ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**﴾، يعني تبنيكم لهم قولٌ لا يقتضي أن يكون ابناً حقيقيا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان. انتهى.

ثم قال الله - تعالى - لاغيا الآثار التي رتبوها على ادعاء التبني ومن أهمها منع الرجل من الزواج من امرأة دعيّه إذا طلقها أو مات عنها، مخبرا نبيه - صلى الله عليه وسلم - أنه قد زوجه امرأة زيد بعد طلاق زيد لها، وفي ذلك أبلغ بيان: ﴿**فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا** (٣٧)﴾ [الأحزاب].

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يزوّجه الله تعالى زينباً على علم بأنها ستكون زوجة له، ومع ذلك كان إذا جاءه زيدٌ شاكيا سوءَ معاملة زينب له، قال له: **(أمسك عليك زوجك، واتق الله)**؛ ولذلك عاتبه الله على موقفه هذا، فقال عز من قائل: ﴿**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

قال علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - المعروف بـ«زين العابدين»: أعلم الله تعالى نبيه أنها ستكون من

أزواجه قبل أن يتزوّجها، فلما أتاه زيد - رضي الله عنه - ليشكوها إليه قال: **(اتق الله وأمسك عليك زوجك)**، فقال: قد أخبرتك أني مزوّجكها، وتخفي في نفسك ما الله مبديه؟!(١).

هذا هو وجه الحق في قضية زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من ابنة عمته: زينب بنت جحش، التي أمرها - من قبل - أن تتزوج زيد بن حارثة فأطاعت أمره في ذلك، وهي غير راغبة في قرارة نفسها، فطلقها زيد بعد حين لما وجد فيها من الصدود وخشونة المعاملة، ثم زوّجها الله - عز وجل - نبيه لحُكم وحكمة بيّنّاها، ومن ادعى غير ذلك فادّعاؤه باطل يكذّبه القَرآن، وتكَذبه الوقائع، والقرائن، وطبيعة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وطبيعة النبوة الغراء(٢).

وتوفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية - رضي الله عنها - في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة عشرين، وصلى عليها عمر(٣).

٨- جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، ابنة سيد قومها، كان اسمها برّة، فغيره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد زواجه منها، كراهة أن يقال: خرج من عند برّة.

كانت قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - عند مسافع بن

---

(١) انظر تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٩٩.

(٢) وانظر ما كتبه بهذا الصدد الشيخ محمد الغزالي في فقه السيرة: ٤٥١-٤٥٤، والشيخ صفي الرحمن المباركفوري في رحيقه المختوم: ٥٣٦-٥٣٨، والاستاذ سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»: ٥/ ٢٨٦٨-٢٨٧٠.

(٣) انظر سبل الهدى: ١١/ ٢٠٤.

صفوان، قتل يوم المريسيع - غزوة بني المصطلق - سنة ست، وسبيت هي فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شمّاس؛ فكاتبها على تسع أواق، فأدّى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها كتابتها وتزوّجها، فبلغ الناسَ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسترقّون! فأعتقوا ما بأيديهم من بني المصطلق، قالت عائشة: فلا أعلم امرأة أعظم منها على قومها بركة.

ماتت في ربيع الأول سنة خمسين، وقد بلغت سبعين سنة وصلى عليها أمير المدينة: مروان بن الحكم[1].

٩- أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أُميّة، القرشية العدويّة، أخت معاوية، وأمّها صفية بنت أبي العاص، عمّة عثمان بن عفّان، كانت من فصيحات قريش، ومن ذوات الرأي والحصافة.

كانت قبل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند عُبيد الله بن جحش؛ وولدت له حبيبة، وبها كانت تكنى، وهاجر بها إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ثم تنصّر هناك، ومات عنها على النصرانية.

قالت أم حبيبة - رضي الله عنها -: رأيت في النوم كأنَّ زوجي عُبيد الله بن جحش بأسوإ صورة، فأصبحت فإذا به قد تنصّر؛ فأخبرته بالمنام، فلم يحفل، وأكبَّ على الخمر حتى مات، فأتاني آت في النوم فقال: يا أُمَّ المؤمنين؛ ففزعت، فأوّلتها أنّ رسول الله

---

(١) انظر سبل الهدى: ١١/ ١٤٥ و٢١٠ و٢١١؛ والأعلام للزركلي: ٢/ ١٤٦؛ وانظر فقه السيرة للغزالي: ٤٥٥.

- صلى الله عليه وسلم - يتزوجني ؛ فما هو إلا أن قد انقضت عدّتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية يقال لها : أبرهة، فدخلت عليَّ فقالت : إنَّ الملك يقول لك : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب إليَّ أن أُزوّجه . فقالت : بشَّرك الله بخير . قالت : يقول لك الملك : وكِّلي مَنْ يُزَوّجك .

فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص - رضي الله عنه - وهو ابن عم أبيها، فوكّلته . . فزوّجها النجاشي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصدقها أربعمائة دينار، وجهّزها من عنده، وبعثها مع شرحبيل بن حسنة، فقدم بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك سنة سبع .

ومن مواقفها الإيمانية العظيمة أنها طوت فراش رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عندما دخل أبوها - وهو مشرك - عليها في بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذهب ليجلس، فقال : يا بنية أرَغبت بهذا الفراش عني، أم بي عنه . فقالت : بل هو فراش رسول الّله - صلى الله عليه وسلم - وأنت امرؤٌ نجس مشرك .

توفيت - رضي الله عنها - سنة أربع وأربعين قبل موت معاوية - رضي الله عنه - بسنة[1] .

١٠ - صفية بنت حُييّ بن أخطب، وكان أبوها سيّد بني النضير وهو من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران أخي موسى - عليهما الصلاة والسلام - وقُتل أبوها مع بني قريظة .

---

(١) انظر سبل الهدى : ١١/ ١٩٣-١٩٧ ؛ طبقات ابن سعد : ٨/ ٩٦-١٠٠ ؛ والأعلام : ٣/ ٦٠-٦١ .

كانت عند سلاّم بن مشكم القرظي، ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري، ولم تلد لأحد منهما شيئا[١]. وقُتل كنانة يوم خيبر، وسبيت صفية فصارت من نصيب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قالت صفية: انتهيت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أحدٌ من الناس أكره إليَّ منه[٢]، فقال: **(إن قومك صنعوا كذا وكذا)** قالت: فما قمت من مقعدي، وما من الناس أحد أحبُّ إليَّ منه. وفي رواية عنها: قالت: ما رأيت قطُّ أحسن خُلُقا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . قال: **(أما إني أعتذر إليك يا صفية بما صنعت بقومك، إنهم قالوا لي كذا، وكذا)**[٣].

وعن صفية - رضي الله عنها - قالت: دخل عليَّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أبكي، فقال: **(يا ابنة حُييٍّ، ما يبكيك؟)**

قالت: بلغني أنَّ حفصة وعائشة ينالان مني، ويقولان: نحن خير منها، نحن بنات عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأزواجه.

قال: **ألا قلت لهنّ: كيف تكُنّ خيرا مني، وأبي هارون، وعمّي موسى، وزوجي محمد**[٤] - صلى الله عليه وعليهما وسلم -.

---

(١)سبل الهدى: ١١/ ٢١٢؛ طبقات ابن سعد: ٨/ ١٢٠؛ فتح الباري: ٧/ ٤٦٩.

(٢)وفي رواية: قتل أبي وزوجي، فمازال يعتذر إليَّ، وقال: يا صفية إن أباك ألّب عليَّ العرب، وفعل، وفعل، حتى ذهب ذلك من نفسي. «مجمع الزوائد: ٩/ ٢٥١؛ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

(٣)سبل الهدى: ١١/ ٢١٥، وانظر مجمع الزوائد ٩/ ٢٥١.

(٤)سبل الهدى: ١١/ ٢١٥؛ وانظر الطبقات: ٨/ ١٢٧.

قال الحافظ: ولد صفية بنت حييٍّ مائة نبيّ، ومائة ملك، ثم سيّرها الله - تعالى - أمةً لنبيه - صلى الله عليه وسلم -[1].

ماتت صفية - رضي الله عنها - في رمضان من سنة خمسين، ودفنت بالبقيع، وورّثت مائة ألف درهم، وأوصت بالثلث لابن أختها وكان يهوديا[2].

١١ - ميمونة بنت الحارث بن حَزَن الهلالية[3].

لما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر، توجّه إلى مكة معتمرا - سنة سبع -، وقدم عليه جعفر بن أبي طالب من الحبشة، فخطب عليه ميمونة بن الحارث، وكانت أُختُها لأُمّها - أسماء بنت عميس - عند جعفر، فأجابت جعفرا إلى تزويج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وجعل أمرها إلى العباس بن عبد المطلب فأنكحها العباس النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم في عمرة القضية - سنة ثمان - فلما رجع بنى بها بسَرِف[4]. قال ابن المسيب: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو محرم، فلما حلّ تزوجها[5] وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العُزّى

(١) سبل الهدى: ١١/ ٢١٢.

(٢) نفس المصدر: ١١/ ٢١٧.

(٣) وهي خالة عبد الله بن عباس، أخت أمه «لبابة الكبرى» زوج العباس بن عبد المطلب؛ وهي أخت أسماء بنت عميس لأمها.

(٤) سَرِف: بالفتح، ثم الكسر، وآخره فاء: موضع على عشرة أميال من مكة، من طريق مرو. «انظر مراصد الاطلاع: ٢/ ٧٠٨». قلت: الميل يساوي: (١٨٤٨) متر بالقياس الحديث فعلى هذا فإن سرف تبعد عن مكة (١٨,٤٨٠) كيلو متر، في طريق الذاهب إلى المدينة من جهة التنعيم.

(٥) طبقات ابن سعد: ٨/ ١٣٥.

القرشي[1] .

قال ابن سعد: هي آخر امرأة تزوّجها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، يعني ممن دخل بها[2] .

ماتت – رضي الله عنها – بسَرِف، سنة إحدى وستين .

قال أنس – رضي الله عنه –: تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ميمونة بسرف، وبنى بها بسرف، وماتت بسرف[2] .

قلت: وقبرها معروف، في طريق القادم إلى مكة من المدينة من جهة التنعيم .

وهكذا تزوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هؤلاء النساء لمطالب عالية ومقاصد عظيمة، فشاركنه حياته الشريفة، فكنّ مثالا حيّا يقتدى به للمرأة الصالحة للرجل الصالح، فصلى الله وسلم وبارك على زوجهن رسول الله، ورضي الله – تعالى – عنهُنّ .

جهاده - صلى الله عليه وسلم -:

وهو – صلى الله عليه وسلم – إلى جانب حياته الانسانية الخاصة، والتي تصب في مصلحة الإسلام والمسلمين العامة، فإن قضيته الأهم، وشغله الشاغل هو نصرة دين الله وتثبيته في الأرض وإزاحة كل العوائق والعقبات من طريق مسيرته، فخاض – صلى الله عليه وسلم – بأصحابه البررة غمار حروب ومواجهات مع أعداء الله، كان من أهمها وأعظمها شأنا غزوة بدر الكبرى التي هزم الله

---

(١) سبل الهدى: ١١/ ٢٠٨ . طبقات ابن سعد: ٨/ ١٣٢ .

(٢) نفس المصدر: ١١/ ٢٠٩ ؛ ٨/ ١٣٢ ، ١٤٠ .

بها أعداءه، ونصر نبيه وعباده المؤمنين، على ما كان من قلة عَدَد وعُدد المسلمين[1]، فصار المسلمون بعد نصرهم المبين قوة مهابة الجانب يحسب لها حسابها، ولقد امتن الله على نبيه وعباده المؤمنين بهذا النصر[2] فقال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [آل عمران].

ثم أن اليهود كانوا - بطبيعتهم - يشكلون خطرا عظيما على الدعوة الإسلامية ودولتها الفتية، ما فتئوا يحيكون المؤامرات ضدها، ويتربصون بالمسلمين الدوائر ويقلقون - بتصرفاتهم الحاقدة - أمن واستقرار المجتمع الجديد الذي يرنو إلى الخير والسعادة والحياة الآمنة المستقرة، فواجههم النبي - صلى الله عليه وسلم - بجرائمهم وعدوانهم ونقضهم للعهد الذي أبرموه مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقتل مقاتلة بني قريظة، وسبا ذراريهم[3] وأجلا بني النضير إلى الشام[4].

وأما يهود خيبر[5] فهم الذين حرّضوا بني قريظة على الغدر

---

(١) كان عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، ولم يكن معهم إلا فرسان وسبعون بعيرا، يعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد. بينما كان قوام جيش المشركين نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره من مكة قاصدا المدينة، وكان معه مائة فرس، وستمائة درع، وجمال كثيرة لايعرف عددها بالضبط. «انظر الرحيق المختوم: ٢٢٦-٢٢٨».

(٢) وكان اللقاء بين الفريقين يوم الجمعة، السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة. «الرحيق: ٢٣٦».

(٣) انظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٣٣-٢٧٣.

(٤) المرجع السابق: ٢/ ١٩٠-١٩٥.

(٥) خيبر على ثمانية بُرُد من المدينة من جهة الشام «والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل يساوي ١٨٤٨ متر، فخيبر تبعد عن المدينة ٤٠٨ , ١٧٧ كيلو متر، والمسافة الآن بين المدينة وخيبر ١٧٢ كيلو متر»، وكان بها سبعة حِصون لليهود، وحولها مزارع ونخل، وهي: ناعم، والقموص، والشق، والنطاة، والسّلالم، والوطيح، والكتيبة، والخيبر بلسان اليهود: الحصن. «مراصد الاطلاع: ١/ ٤٩٤».

والخيانة، وهم الذين أخذوا بالاتصال بالمنافقين الذين وضعوا خطة لاغتيال النبي - صلى الله عليه وسلم -، إلى غير ذلك من صنوف الخبث والمكر والتآمر مما شكل عقبة في وجه استقرار المسلمين وعائقا خطيرا في طريق الدعوة إلى الله وإقامة دولة الإسلام، فكان لابد من إيقافهم ومنع شرهم وإنزال العقوبة المناسبة بهم.

لذا فقد خرج إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - في محرم من السنة السابعة من الهجرة، فلما دنا من خيبر وأشرف عليها، وقف وقال: **(اللهم ربَّ السموات السبع وما أظللن، وربَّ الأرضين السبع وما أقللن، وربَّ الشياطين وما أضللن، وربَّ الرياح وما ذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بك من شر هذه القرية، وشر أهلها، وشر ما فيها، اقدموا بسم الله)**[1].

ولما كانت ليلة الدخول قال - عليه الصلاة والسلام - **(لأعطيَنَّ هذه الراية - غداً - رجلا يفتح الله على يديه، يُحبُّ الله ورسوله، ويُحبُّه الله ورسوله)**، فبات الناس يدوكون[2] ليلتهم: أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: **أين عليُّ بن أبي طالب**؟ فقيل: هو - يارسول الله - يشتكي عينيه.

فأرسلوا إليه فأُتيَ به فبصق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في عينيه، ودعا له فبريء حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية،

---

(١) الرحيق المختوم: ٤١٢. والدعاء أخرجه الحاكم عن صهيب: ١/ ٦١٤.

(٢) أي باتوا في اختلاف واختلاط؛ والدوكة الاختلاط. «الفتح».

فقال علي: يارسول الله أُقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

قال: **انفذ على رِسْلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بِما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم**[1].

وهكذا حاصرت جحافل أهل الحق حصون وقلاع يهود خيبر فتهاوت الواحدة تلو الأخرى، وكانوا يظنون ﴿ .. **أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ** .. ﴾ [الحشر: ٢].

ولم ينجهم إلا مصالحتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حقن دماء مَنْ في حصونهم من المقاتلة، وترك الذرية لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويُخَلّون بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلى الصفراء والبيضاء، والكراع والحلقة، إلا ثوبا على ظهر إنسان.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئا**.

فصالحوه على ذلك، وبعد هذه المصالحة تمَّ تسليم الحصون إلى المسلمين، وبذلك تمَّ فتح خيبر[2]؛ وكفى الله - بمنِّه وكرمه - المؤمنين شرَّ اليهود ومكرهم.

وسُبيَت صفية بنت حُييّ بن أخطب سيدة قريظة وبني النضير،

---

(١) صحيح البخاري «الفتح»: ٧/ ٤٧٦؛ ٦/ ١٤٤ باب فضل من أسلم على يديه رجل - كتاب الجهاد -.

(٢) الرحيق المختوم: ٤١٨.

فصارت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فعرض - صلى الله عليه وسلم - عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وجعل عتقها صداقها[1] وتزوجها وأولَمَ عليها بحيس من التمر والسَّمن والسّويق[2]، ففازت صفية - بهذا النكاح الميمون - بشرف لقب أمّ المؤمنين.

الفتح الأعظم:

وفي العاشر من شهر رمضان لسنة ثمان من الهجرة توجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة - زادها الله عزّاً وشرفا - في عشرة آلاف صحابي - رضي الله عنهم - يريد فتحها وتطهيرها من رجس الشرك والوثنية، وكان السبب المباشر لهذا التحرك هو نقض قريش لمعاهدة صلح الحديبية المبرمة بين الجانبين في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة؛ وكان من بنود هذا الصلح أن أي قبيلة تحالف أحد الفريقين تعتبر جزءا من ذلك الفريق فيحترمها الفريق الآخر ولايعتدي عليها، والاعتداء عليها يعتبر اعتداءً على حلفائها، فدخلت قبيلة خزاعة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ودخلت قبيلة بني بكر بن وائل في عهد قريش، ثم أن جماعة من بني بكر أغاروا في ليلة من ليالي شهر شعبان من السنة الثامنة الهجرية على خزاعة فأصابوا منهم رجالا وأعانت قريش بني بكر بالرجال والسلاح، فكان هذا التصرف من قريش وحلفائها غدرا محضا ونقضا صريحا للعهد والميثاق الذي واثقوا به رسول الله - صلى الله

---

(١) انظر البخاري «الفتح»: ٧/ ٤٦٩، باب غزوة خيبر - كتاب المغازي.

(٢) انظر المرجع نفسه: ٧/ ٤٧٩؛ ٩/ ٢٢٤، باب البناء في السفر - كتاب النكاح -.

عليه وسلم -، فما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا نصرة حلفائه قبيلة خزاعة التي استنجدت به وطلبت منه نصرتها، فسار إلى مكة مؤدّبا وفاتحا فدخلها صباح الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة. فطاف بالبيت المعظم، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما، فجعل - صلى الله عليه وسلم - يطعنها بقوس في يده ويقول: ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ [الإسراء: ٨١] ﴿ **جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ** [١] ﴾ [سبأ: ٤٩]، والأصنام تهوي على وجوهها.

ثم خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس، وكانت قريش قد ملأت المسجد الحرام صفوفا ينتظرون ما هو صانع، فقال: **لا إله إلا الله وحده لاشريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده.**

يامعشر قريش، إنَّ الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب. ثم تلا قول الله - تعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)** ﴾ [الحجرات].

ثم أعلن العفو العام عن القوم الذين ظلموه وأصحابه واضطهدوهم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم، فقال: **يامعشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟**

قالوا: خيرا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريم.

---

(١) انظر صحيح البخاري «الفتح»: ٨/ ١٥، ح: ٤٢٨٧، باب غزوة الفتح في رمضان - كتاب المغازي -.

قال: **فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿.. لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ..﴾** [يوسف: ٩٢]؛ إذهبوا فأنتم الطُّلقاء[1].

وأقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة تسعة عشر يوما يُقيم معالم الإسلام ويرشد الناس إلى الخير، ويعلمهم أحكام هذا الدين العظيم.

وهكذا كان فتح مكة هو الفتح الأعظم والمعركة الفاصلة التي قضت على كيان الوثنية قضاءً نهائيا ليس في مكة فحسب، بل في ربوع جزيرة العرب برمّتها.

ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد غزوة حُنين، وغزوة الطائف، وانتصاره على فلول الشرك، رجع إلى المدينة في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة.

الجبهة الخارجية:

وبعد أن استقرت الجبهة الداخلية لصالح المسلمين، توجه النبي - صلى الله عليه وسلم - لتأمين الحدود الشمالية لجزيرة العرب فقد كان الرومان يشكِّلون أكبر قوة عسكرية في الأرض آنذاك وكانوا يهددون أمن وسلامة الدولة الإسلامية الفتية وكان المسلمون على وجل وتخوّف من هجوم مرتقب يشنه الرومان عليهم ولاسيما أن أنباء الاستعدادات الرومانية لمثل هذا الهجوم تترامى إلى المدينة، وما كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليذر الرومان يزحفون بجيوشهم على دار الإسلام ففي زحفهم المرتقب هذا خطر عظيم

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٤١٢.

على الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، لذلك فقد قرر القيام بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرومان عند الحدود الشمالية، فكانت غزوة تبوك في رجب من السنة التاسعة الهجرية.

وما كاد الرومان يتسامعون بتحرك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى تبوك حتى قذف الله - عز وجل - في قلوبهم الرعب، وولّوا الأدبار، متفرقين داخل بلادهم.

ثم جاء عظماء الروم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصالحين مسالمين معطين الجزية عن يد وهم صاغرون.

ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مدينته بجنده الصُّدُق البواسل، مظفّرين منصورين[١].

وكان لهذه الغزوة أعظم أثر في بسط نفوذ المسلمين وتقويته على جزيرة العرب، وأيقن الناس أن لاقوة لأحد في هذه الجزيرة سوى قوة الإسلام وأهله[٢].

الوفود .. التوحيد والوحدة:

وفي السنة التاسعة والعاشرة من الهجرة جاءت الوفود من أنحاء جزيرة العرب إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ممثلين قبائلهم في إعلان إسلامهم ومبايعتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة في المنشط والمكْرَه.

---

(١) واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوما، أقام منها عشرين يوما في تبوك، والأيام البواقي قضاها في طريقه بين المدينة وتبوك ذهابا وإيابا. «انظر الرحيق: ٤٩١».

(٢) انظر الرحيق المختوم: ٤٩٢.

وبذلك توحّد العرب في جزيرتهم تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وتخلّصوا من الوهم والخرافة، ومن العبودية والرق ومن الفساد والتعفُّن، ومن القذارة والإنحلال، بل وتخلص المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان، ومن التفكُّك والإنهيار، ومن فوارق الطبقات، واستبداد الحكّام، واستذلال الكُهّان.

واستمرت الدعوة الإسلامية الغراء ببناء العالم على أُسس من العفة والنظافة، والإيجابية والإعمار، والحرية والتجدد، والمعرفة واليقين، والثقة والإيمان والعدالة والكرامة، والعمل الدائب لتنمية الحياة، وترقيتها، وإعطاء كل ذي حق حقه فيها[1].

كتبه إلى الملوك والعظماء:

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك والعظماء وأرسل بكتبه رسله إليهم يدعوهم فيها إلى الهدى ودين الحق؛ فكتب إلى النجاشي أصمحة بن أبجر ملك الحبشة فأسلم، كما كتب إلى المقوقس جريج بن متّى ملك مصر فتوقّف ولم يُسلم، وأهدى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - جاريتين: مارية وسيرين، أما مارية فقد اتخذها سرية له، وولدت له إبراهيم، وأما سيرين فأعطاها إلى صاحبه: حسَّان بن ثابت الأنصاري.

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام فلما قرأ كسرى الكتاب مزّقه، فقال رسول الله - صلى

(١) انظر: مقدمة «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» لأبي الحسن الندوي، التي كتبها الاستاذ سيد قطب: ١٩. وانظر الرحيق المختوم: ٥١٤.

الله عليه وسلم - حين بلغه ذلك : مزّق الله ملكه .

وقد كان كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث ثار عليه ابنه شيرويه فقتل أباه ، وأخذ الملك لنفسه .

وكتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل ملك الروم فلما قرأ الكتاب وأيقن أنه رسول الله - وكان على علم بأن نبيا سيبعث وقد أظل زمانه - قال : لو أنّي أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسّلت عن قدميه .

وكتب - عليه الصلاة والسلام - إلى المنذر بن ساوى حاكم البحرين فأسلم وأقرّه عاملا على البحرين .

كما كتب إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة ولم يسلم ، فدعا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - فهلك .

وكتب إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني صاحب دمشق فأبى ولم يسلم . كما بعث بكتاب إلى جيفر وعياد ابني الجُلُندي الأزديين ، مَلِكَيْ عُمان ، فأسلما وصدّقا النبي - صلى الله عليه وسلم[1] .

حجة الوداع :

وما إن اطمأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى استقرار الدين وإلى تمكّن عقيدة التوحيد في قلوب المؤمنين ، حتى انتابه شعور وإحساس خفيان أن مهمته قد انتهت وأنه على وشك اللحاق

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢/ ٦٠٧ .

بالرفيق الأعلى.

وبناءً على هذا فقد قدّر الله - عز وجل - لنبيه في هذه السنة العاشرة أن يحج البيت ويجعل ذلك خاتمة لأعماله الجليلة وعباداته المنيفة مجتمعا بالمسلمين معلّما إياهم مهمات هذا الدين ومشهدا إياهم على تبليغه - صلى الله عليه وسلم - رسالة ربه.

وفي يوم عرفة التاسع من ذي الحجة من العام العاشر للهجرة ألقى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبته الشهيرة، وقد التفَّ حوله ما يقارب المائة والخمسين ألفاً من المسلمين فقال:

(أيها الناس: اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً[1]. إنَّ دماءكم، وأموالكم حرامٌ عليكم كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا.

ألا كلُّ شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوعٌ، ودماء الجاهلية موضوعة، وإنَّ أوّل دمٍ أضع من دمائنا دم ابن ربيعة[2] بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هُذَيْل.

وربا الجاهلية موضوع؛ وأوّل رباً أضع ربانا: ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوعٌ كُلُّه.

فاتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله[3]. ولكم عليهنَّ أن لا يُوطئن فُرُشكم أحداً

---

(١) المرجع السابق: ٢/ ٦٠٣.

(٢) هو إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان طفلا يحبو بين البيوت فأصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر «النووي على مسلم: ٨/ ١٨٢-١٨٣».

(٣) أي قوله تعالى: ﴿فَانكحُوا ما طَابَ لَكُم مِنَ النِّساءِ﴾ [النساء: ٣]، والمراد بإباحة الله. «انظر النووي على مسلم: ٨/ ١٨٣».

تكرهونه[1]؛ فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضربا غير مبرّح[2].

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله.

وأنتم تُسألون عنّي، فما أنتم قائلون؟).

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فقال - بإصبعه السبّابة، يرفعها إلى السماء وينكُتها إلى الناس-:
(اللهم اشهد، الله اشهد) ثلاث مرات[3].

فقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحجّ وقد أراهم مناسكهم، وأعلمهم ما فرض الله عليه من حجّهم، وما أحل لهم، وما حرّم عليهم، فكانت حجة البلاغ، وحجة الوداع، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يحجّ بعدها[4].

ثم قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر. وضرب على الناس بعثا إلى الشام، وأمّر عليهم أُسامة بن زيد بن حارثة مولاه، وهو آخر بعث بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[5].

وكان جميع ما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بنفسه سبعا وعشرين غزوة[6] أما بعوثه وسراياه التي لم يخرج فيها بنفسه

---

(١) أي لايسمحن بدخول أحد إلى بيت الرجل ممن يكره دخوله ولو كان محرما لها. «انظر شرح النووي: ٨/ ١٨٤».

(٢) الضرب المبرّح: الشديد الشاق. وفي الحديث جواز ضربها للتأديب.

(٣) صحيح مسلم: ٢/ ٨٨٩-٨٩٠؛ وانظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٠٣-٦٠٥؛ والرحيق المختوم: ٥١٦-٥١٧.

(٤) سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٠٦.

(٥) المرجع السابق: ٢/ ٦٠٦ و٦٤١-٦٤٢.

(٦) انظر اسماءها مجملة في المرجع السابق: ٢/ ٦٠٨.

فثمان وثلاثون[1] . وعليه يكون مجموع العمليات الجهادية التي قام بها المسلمون على عهد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - في سني ما بعد الهجرة خمسا وستين عملية .

وفاته - ﷺ -، المقدمات والخاتمة :

وفي أواخر صفر وأوائل شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة انتابته - صلى الله عليه وسلم - حمّى شديدة استمرت معه ثلاثة عشر يوما ، وقبل وفاته - صلى الله عليه وسلم - بخمسة أيام خطب الناس ، فقال : **(لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)** وقال : **(لاتتخذوا قبري وثنا يعبد)**.

وعرض نفسه - صلى الله عليه وسلم - على الناس قائلا : **(من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه)** ثم قال : **(إنَّ عبداً خيّره الله أن يؤتيه مِن زهرة الدَنيا ما شاءَ ، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده)** . فبكى أبوبكر - رضي الله عنه - وقال : فديناك بآبائنا وأمّهاتنا[2] . فقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ ، يُخبرُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عبد خيّره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده ، وهو يقول : فديناكَ بآبائنا وأُمّهاتنا ! .

قال أبو سعيد الخدري : فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المخيَّر ، وكان أبوبكر أعلمنا .

---

(١) انظر أسماءها مجملة في المرجع السابق : ٢/ ٦٠٩ .

(٢) وفي السيرة : ٢/ ٦٤٩ : « . . بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا» .

ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **(إنّ من أمنَ الناس عليّ في صحبته وماله: أبابكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أُخُوَّة الإسلام ومودته، لايبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ**[1] **، إلاّ باب أبي بكر)**[2].

وقبل وفاته - صلى الله عليه وسلم - أوصى بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب[3]. وقالت عائشة - رضي الله عنها - : كان آخر ما عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قال: لايُترك بجزيرة العرب دينان[4].

وقبل وفاته بيوم، خرج - صلى الله عليه وسلم - من كل ما يملك، فأعتق غلمانه، وتصدّق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته. وكانت درعه - صلى الله عليه وسلم - مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا[5] من الشعير[6].

ولمّا اشتد به - صلى الله عليه وسلم - وجعه استأذن نساءه في أن يُمرَّض في بيت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر فأذنَّ له[7].

فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول للسنة الحادية

---

(١) وكان بعض الصحابة - رضي الله عنهم - قد فتحوا لأنفسهم أبوابا تخصهم في المسجد يدخلون من بيوتهم إلى المسجد منها.

(٢) الرحيق المختوم: ٥٢٤. وانظر السيرة: ٢/ ٦٤٩. ومشكاة المصابيح للتبريزي بتحقيق الألباني: ٣/ ١٦٩٧، وقال: متفق عليه.

(٣) انظر الرحيق: ٥٢٥.

(٤) السيرة: ٦٦٥.

(٥) الصاع=٢١٧٦ غراما، فالثلاثون صاعا=٦٥,٢٨٠ كيلا.

(٦) الرحيق: ٥٢٦. وانظر البخاري «فتح الباري»: ٨/ ١٤٨ «حديث: ٤٤٦١»، و١٥١ «ح: ٤٤٦٧».

(٧) السيرة: ٢/ ٦٤٣.

عشرة من الهجرة[1] (٦٣٢م)[2] - وهو اليوم الذي قُبض فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عاصبا رأسه إلى الصبح، وأبوبكر يصلي بالناس، فقام على باب عائشة، فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأوه فرحا به، وتفرّجوا[3]، فعرف أبوبكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنكص عن مُصلاّه، فدفع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظهره، وقال: **(صَلِّ بالناس)**، وجلس إلى جنبه، فصلّى قاعدا عن يمين أبي بكر[4].

فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس قائلا: **(أيها الناس، سُعِّرت النار، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، وإني - والله - ما تمسَّكون عليَّ بشيء، إني لم أُحلَّ إلا ما أحلَّ القرآن، ولم أُحرِّم إلا ما حرّم القرآن)**[5].

ثم رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت عائشة وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة إليها، وكانت ابنته فاطمة - رضي الله عنها - تقول: وا كرب أباه، فقال لها: **ليس على أبيك كرب بعد اليوم**[6].

---

(١) الرحيق: ٥٢٨.

(٢) المنجد «الأعلام»: ٤٦ و٦٣٧.

(٣) في رواية أنس: فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم؛ قال أنس: فتبسّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما رأى من هيئتهم في صلاتهم. «السيرة: ٢/ ٦٥٣»؛ وانظر البخاري «فتح الباري»: ٨/ ١٤٣.

(٤) قال السهيلي: هذا الحديث مرسل في السيرة، والمعروف في الصحاح أن أبابكر كان يصلي بصلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس يصلّون بصلاة أبي بكر. «الروض الأنف: ٤/ ٢٦٨».

(٥) سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٥٣-٦٥٤.

(٦) البخاري «الفتح»: ٨/ ١٤٩، ح: ٤٤٦٢.

قالت عائشة: (كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول - وهو صحيح -: **إنه لم يُقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يُخيّر**. فلما نزل به - ورأسه على فخذي - غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: **اللهمَّ الرفيق الأعلى** . .)[1].

فلما مات - صلى الله عليه وسلم - قالت فاطمة - عليها السلام -: يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه[2].

لقد كانت وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - من أعظم المصائب وأفدحها وقعا على المسلمين حتى أن العقلاء منهم قد طاشت عقولهم فلم يُحسن تفكيرا، وبعضهم عقدت ألسنتهم فما استطاعوا كلاما، وبعضهم أُقعد فما استطاع قياما[3]، وهم في ذلك معذورون غير ملومين، كيف وقد فقدوا بوفاته - صلى الله عليه وسلم - نزول الوحي الذي هو الهدى والنور والحياة، وفقدوا بفقده القيادة الهادية، والرعاية الحانية، والرحمة الدانية، فقدوا بفقده الظلَّ الوارف، والركن الآمن، والنعمة السابغة، المستغفر لهم إذا أذنبوا، والمصلي عليهم إذا حتاجوا، المستجاب استغفاره والمتقبل

---

(١) المرجع السابق: ٨/ ١٣٦، ح: ٤٤٣٧ «باب مرض النبي - صلى الله عليه وسلم - ووفاته» و١٥٠، ح: ٤٤٦٣ «باب آخر ما تكلم به النبي - صلى الله عليه وسلم -».

(٢) البخاري «الفتح: ٨/ ١٤٩، ح: ٤٤٦٢.

(٣) روي عن عائشة وغيرها من الصحابة - رضي الله عنهم - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قُبض، وارتفعت الرنّة، وسجّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الملائكة، دهش الناس، وطاشت عقولهم، وأُفحموا، واختلطوا، فمنهم من خبل، ومنهم من أُصمت، ومنهم من أقعد إلى الأرض، فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح، ويحلف: ما مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان ممن أُخرس عثمان بن عفان، حتى جعل يُذهب به ويجاء، ولايستطيع كلاما، وكان ممن أُقعد عليّ - رضي الله عنه - فلم يستطع حراكا، واما عبد الله بن أُنيس فأضنى حتى مات كمدا. «الروض الأنف: ٤/ ٢٧٢؛ سبل الهدى والرشاد: ١٢/ ٢٧٤».

دعاؤه. فصلاة ربي وسلامه وتبريكاته الدائمة المتلازمة عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين.

أقبل أبوبكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر، وعمر يكلم الناس نافيا وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -، زاعما أنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران - فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل: قد مات - وأنه راجع كما رجع موسى، واصفا من زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات بالنفاق متوعدا إياهم - إذا رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع أيديهم وأرجلهم[1]؛ أقبل أبوبكر فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت عائشة، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجّى[2] في ناحية البيت، عليه بُردٌ حَبرة[3]، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم أكبَّ عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها[4] ثم لن تصيبك بعدها موتةٌ أبدا. ثم ردّ البُرد على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[5].

ثم خرج أبوبكر ولازال عمر يكلّم الناس، فقال: على رسلك ياعمر، أنصت، فأبى إلا أن يتكلّم، فلما رآه أبوبكر لايُنصتَ أقبل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٥٥.

(٢) مسجّى: مغطّى.

(٣) نوع من ثياب اليمن.

(٤) في البخاري: فقد متّها.

(٥) السيرة: ٢/ ٦٥٥-٦٥٦؛ البخاري: ١٤٥، ح: ٤٤٥٢؛ سبل الهدى والرشاد: ١٢/ ٢٩٨-٢٩٩.

على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر؛ فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لايموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال أبوهريرة وابن عباس: فوالله لكأنَّ الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبوبكر يومئذ، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعت أبابكر تلاها فعقرت حتى ما تقلُّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، وعرفت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات[1].

ويوم الثلاثاء وبعد أن بويع أبوبكر الصديق - رضي الله عنه - بالخلافة، أقبل الناس على جهاز رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فولي غسله علي بن أبي طالب يسنده إلى صدره، والعباس بن عبد المطلب وولداه الفضل وقثم يقلّبونه معه، وأُسامة بن زيد وشُقران مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصبّان الماء عليه، وعليه - صلى الله عليه وسلم - قميصه يدلكه عليٌّ من ورائه لايفضي بيده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو يقول: بأبي أنت

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٥٥-٦٥٦؛ البخاري «الفتح»: ٨/ ١٤٥، ح: ٤٤٥٢ و٤٤٥٤ «باب مرض النبي - صلى الله عليه وسلم - ووفاته»؛ سبل الهدى والرشاد: ١٢/ ٣٠٠-٣٠١.

دعاؤه . فصلاة ربي وسلامه وتبريكاته الدائمة المتلازمة عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين إلى يوم الدين .

أقبل أبوبكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس نافيا وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، زاعما أنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران - فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات - وأنه راجع كما رجع موسى ، واصفا من زعم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد مات بالنفاق متوعدا إياهم - إذا رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقطع أيديهم وأرجلهم[١] ؛ أقبل أبوبكر فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيت عائشة ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسجّى[٢] في ناحية البيت ، عليه بُردٌ حَبرة[٣] ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ثم أكبَّ عليه فقبّله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها[٤] ثم لن تصيبك بعدها موتةٌ أبدا . ثم ردّ البُرد على وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[٥] .

ثم خرج أبوبكر ولازال عمر يكلّم الناس ، فقال : على رسلك ياعمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما رآه أبوبكر لايُنصتَ أقبل

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢/ ٦٥٥ .

(٢) مسجّى : مغطّى .

(٣) نوع من ثياب اليمن .

(٤) في البخاري : فقد متّها .

(٥) السيرة : ٢/ ٦٥٥-٦٥٦ ؛ البخاري : ١٤٥ ، ح : ٤٤٥٢ ؛ سبل الهدى والرشاد : ١٢/ ٢٩٨-٢٩٩ .

وأمي، ما أطيبك حيّا وميتا[١].

فلما فُرِغ من غسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتكفينه دخل الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلون عليه أرسالا، دخل الرجال حتى إذا فرغوا أُدخل النساء، حتى إذا فرغن أُدخل الصبيان، وصلى الناس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دون أن يؤمهم أحد[٢].

وحُفر لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - لحدٌ تحت فراشه الذي توفي عليه في بيت أم المؤمنين عائشة، لقول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: **(ما قُبض نبيٌّ إلا دُفن حيث يُقبض)**[٢].

ودُفن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جوف الليل من ليلة الأربعاء[٣]، فلما دفن قالت فاطمة - عليها السلام -: أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - التراب[٤]؟

لقد عظمت بوفاة رسول الله - صلي الله عليه وسلم - مصيبة المسلمين، فكانت عائشة تقول: لما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ارتدت العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم - صلى الله عليه وسلم - حتى جمعهم الله على أبي بكر[٥].

---

(١) السيرة: ٢/ ٦٦٢.
(٢) المرجع السابق: ٢/ ٦٦٣.
(٣) السيرة: ٢/ ٦٦٤.
(٤) البخاري «الفتح»: ٨/ ١٤٩، ح: ١٤٩.
(٥) السيرة: ٢/ ٦٦٥.

وهكذا انتهت حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الدنيا بعد أن أحياها بدين الله: الإسلام، وعرّفها بالمُثُل العليا، والقيم الفضلى، والأخلاق الكريمة، ووضع الناس على جادة الخير والسعادة.

الأنموذج الفريد:

نعم، إن رسول الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - كان أنموذجا فريدا للإنسان الكامل في خَلْقه وخُلُقه وسلوكه الخاص والعام، إنه - صلى الله عليه وسلم - أرسى قواعد المجتمع المثالي، والدولة المثالية، كما كان في نفسه أنموذجا مرموقا للإنسان المثالي في علاقته بأزواجه وأسرته وبأصحابه ومجتمعه، كيف وقد أدّبه الله وربّاه فأحسن تأديبه وتربيته.

لذلك كله أمر الله - عز وجل - بطاعته في مواضع متعددة من كتابه العزيز - كما سنذكر ذلك في وجوب طاعته - إن شاء الله- بل جعله هو الأسوة الحسنة والقدوة المستحسنة فقال: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** (٢١) ﴾ [**الأحزاب**].

إذن ما من إنسان يتطلع إلى لقاء ربه بقلب سليم، ويطمح إلى الفوز بجنات النعيم في الآخرة إلا وجب عليه التأسي والاقتداء برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فيما يأتي ويذر من قول وعمل.

عقيدة الاستعلاء:

والإسلام الذي بعث الله - عز وجل - به محمدا - صلى الله عليه وسلم - (عقيدة استعلاء، من أخصِّ خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر، وروح الثقة في غير اغترار، وشعور الاطمئنان في غير تواكل، وأنها تُشعر المسلمين بالتبعية الإنسانية الملقاة على كواهلهم، تبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان «البشرية» الضالة، وهدايتها إلى الدين القيِّم، والطريق السَّوي، وإخراجها من الظلمات إلى النور بما آتاهم الله من نور الهدى والفرقان: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً** ﴾ [البقرة: ١٤٣]..)[1].

---

(١) من مقدمة الاستاذ سيد قطب لكتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين»، لأبي الحسن الندوي: ١٧.

الفصل الثاني
امتنان الله عز وجل على الناس اجمعين ببعثة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

امتنان الله عز وجل على الناس اجمعين ببعثة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

إن الله - عز وجل - قد امتن على أهل الكتاب - اليهود والنصارى - ببعثة رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وخاطبهم منبها لهم ومنوّها به - صلى الله عليه وسلم - فقال سبحانه :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة].

وإذا كان هذا الخطاب الكريم منادى به أهل الكتاب - وهم أهل كتاب - فمن الأولى أن يكون مخاطبا به غيرهم ممن ليسوا أهل كتاب، ولذلك قال ابن كثير في تفسيره هاتين الآيتين الكريمتين : (يقول الله - تعالى - مخبرا عن نفسه الكريمة أنه قد أرسل رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالهدى ودين الحق إلى جميع أهل الأرض : عربهم وعجمهم، أمّيِّهم وكتابيِّهم، وأنه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل)[1] .

ثم قال سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٩) ﴾ [المائدة].

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢/ ٣٥.

يقول الله - تعالى - في هذه الآية الكريمة مخاطبا أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل إليهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين الذي لانبي بعده ولارسول، بل هو المعقب لجميعهم، ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ أي بعد مدة متطاولة بين إرساله وعيسى ابن مريم، والفترة: كانت بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الإطلاق[١]، كما ثبت في صحيح البخاري[٢] عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

(أنا أولى الناس بابن مريم[٣]، والأنبياء أولاد علات[٤]، ليس بيني وبينه نبي)[٥].

والمقصود من الآية الكريمة: أن الله بعث محمدا - صلى الله عليه وسلم - على فترة من الرسل، وطموس من السبل، وتغير من الأديان وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان، فكانت النعمة به أتم النعم، والحاجة إليه أمرٌ عمم، فإن الفساد كان قد عمّ جميع

---

(١) اختلفوا في مقدار هذه الفترة، كم هي، والمشهور: أنها ستمائة سنة، ومنهم من يقول: ستمائة وعشرون سنة، ولا منافاة بينهما، فإن القائل الأول أراد ستمائة سنة شمسية والآخر أراد قمرية، وبين كل مائة سنة شمسية وبين القمرية نحو من ثلاث سنين، ولهذا قال تعالى في قصة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف] فقوله تعالى: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ أي قمرية لتكميل ثلاثمائة الشمسية التي كانت معلومة لأهل الكتاب. «انظر ابن كثير: ٢/ ٣٧».

(٢) كتاب أحاديث الأنبياء - باب قول الله: ﴿واذكر في الكتاب مريم﴾. «فتح الباري: ٦/ ٤٧٧» وفي نفس الباب أيضا بلفظ: (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات: امهاتهم شتى ودينهم واحد).

(٣) أي أخص الناس وأقربهم إليّ لكونه ممهدا لقواعد ملتي ومبشرا بي قبل بعثتي.

(٤) أولاد العلات: الاخوة من الأب وأمهاتهم شتى «الفتح».

(٥) وفي هذا رد على من زعم أنه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان. «ابن كثير».

البلاد، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العباد، إلا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى والصابئين، ولذلك مقت الله الناس إلا بقايا من أهل الكتاب كما ورد في حديث عياض المجاشعي[١] - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب ذات يوم فقال في خطبته: **(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا: كل[٢] مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء[٣] كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[٤] عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا. وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم[٥]، عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب[٦]. وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك[٧]. وأنزلت عليك كتابا لايغسله الماء[٨] تقرؤه نائما ويقظان)**[٩].

فكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله

---

(١) عياض بن حمار بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي، البصري، صحابي، له ثلاثون حديثا انفرد له مسلم بحديث، روى عنه الحسن ومطرِّف بن الشِّخِّير. «الخلاصة: ٣٠١».

(٢) في الكلام حذف، أي قال الله تعالى: كل مال.. الخ، ومعنى نحلته: أعطيته.

(٣) حنفاء: أي مسلمين، أو طاهرين من المعاصي.

(٤) اجتالتهم: أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه.

(٥) المقت: أشدّ البغض، والمراد ما قبل بعثة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

(٦) الباقون على التمسك بدينهم الحق، من غير تبديل.

(٧) لأبتليك: لأمتحنك بالقيام بواجب الدعوة الى الله وما يلزمه من جهاد وصبر. وابتلي بك: وامتحن بك من أرسلتك إليهم بطاعتك واتباعك أو بمعاداتك والاعراض عنك.

(٨) أي محفوظ في الصدور لايتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الزمان. «الهوامش السابقة من تعليقات محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم: ٤/ ٢١٩٧. بتصرف».

(٩) مسند أحمد: ٤/ ١٦١ و٢٦٦. وصحيح مسلم: ٤/ ٢١٩٧ ج: ٢٨٦٥. وتفسير ابن كثير ٢/ ٣٧.

محمداً - صلى الله عليه وسلم - فهدى الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات إلى النور وتركهم على المحجّة البيضاء والشريعة الغرّاء، ولهذا قال تعالى: ﴿أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾.

أي لئلا تحتجّوا وتقولوا - يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه -: ما جاءنا من رسول يبشر بالخير وينذر من الشر، فقد جاءكم بشير ونذير، يعني محمداً - صلى الله عليه وسلم -[1].

وكما خص - سبحانه - أهل الكتاب في الذكر بالامتنان، كذلك يخص - سبحانه - المؤمنين ذوي العقول النابهة فيقول:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق].

فيمتنُّ الله - عز وجل - على عباده المؤمنين الذين احترموا عقولهم وانسانيتهم ببعثة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم[2] ليخرج من آمن به وعمل صالحاً من الظلمات إلى النور بما يتلو عليهم من آيات الذكر الحكيم وبما يبلّغ من شرائع الله.

(١) ابن كثير: ٢/ ٣٧-٣٨.

(٢) وهذا على ما صوّبه ابن جرير من أن «الرسول» تفسير لـ«الذِّكر». بينما يذهب البعض إلى أن «رسولاً» منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة، لأن الرسول هو الذي بلّغ الذِّكر. «انظر ابن كثير: ٤/ ٤١٠».

الفصل الثالث

وجوب الإيمان برسول الله محمد - ﷺ - وطاعة أمره واتباع هديه

أولا: وجوب الإيمان به صلى الله عليه وسلم:

إن من لوازم الإيمان بالله - عز وجل - الإيمان برسله - عليهم الصلاة والسلام - عموما وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - على وجه الخصوص(١)، فمن كفر بواحد من الرسل الكرام فقد كفر بجميعهم وهو بالتالي كافر بالله رب العالمين، ذلك لأنه ثبت - بطريق النقل الصحيح المتواتر - إرساله - سبحانه وتعالى - هؤلاء الرسل الكرام مبلِّغين أممهم شرائع الله، منصورين بالمعجزات[٢] الباهرة والحجج الدامغة، تلك المعجزات وهذه الحجج النازلة منزلة قول الله - عز وجل -: صدق عبدي في كلِّ ما يُبلِّغ عنّي.

وقد أمر - تعالى - الخلق بالإيمان بهؤلاء الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - دون تفريق بين واحد وآخر.

قال سبحانه:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ [البقرة].

فهذه الآية الكريمة وإن كانت إخبارا عن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين به إلا أنها تفيد أن من شأن كل من ادعى

---

(١) ذلك لأنه - صلى الله عليه وسلم - إمامهم وسيدهم، ولأنه خاتمهم، وشريعته ناسخة للشرائع قبلها، ولأن الإيمان به وبما بُعث به يستلزم الإيمان بجميع أنبياء ورسل الله دون تفريق بينهم.

(٢) المعجزة، معناها الأصلي: مُظهِرَة العجز، ثم نقلت إلى الأمر الخارق للعادة يخلقه الله تعالى على أيدي رسله مقرونا بالتحدي مع عدم المعارضة تنزل من مولانا - جل وعز - منزلة قوله - جل وعز -: صدق عبدي في كل ما يبلّغ عني. «انظر شرح أم البراهين وحاشيتها: ١٧٦».

الإيمان أن يعتقد هذا الاعتقاد [فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل، والكتب المنزلة من السماء على عباد الله الصالحين من الأنبياء والمرسلين لا يفرقون بين احد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون، باررّون، راشدون، مهديون، هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نُسخ الجميع بشرع محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين][1].

وقد تعاضدت الآيات القرآنية الكريمة وتوافرت على الأمر بالإيمان برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وطاعته واتباعه[2]: مثل قوله - عز وجل -:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاس[3] إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوه[4] لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158) ﴾ [الأعراف].

---

(١) ابن كثير: ١/ ٣٥٠.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره «٢/ ٢٦٥»: والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى الناس كلّهم.

(٣) فالنداء للناس جميعا، وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله مرفوعا: (.. وكان النبي يُبعَثُ إلى قومه وبُعِثْتُ إلى الناس عامة). وعند احمد عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - مرفوعا: (من سمع بي من أمتي أو يهودي أونصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة)، وهذا الحديث في صحيح مسلم من وجه آخر عن أبي موسى. «انظر تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٦٥-٢٦٦».

(٤) فإنه - صلى الله عليه وسلم - هو الذي وعدتم به وبُشِّرتم به في الكتب المتقدمة، فإنه مبعوث بذلك في كتبهم. «ابن كثير: ٢/ ٢٦٦».

وقوله - عز وجل - :

﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) ﴾ [الحديد] .

في هذه الآيات الكريمات أمر الله - تبارك وتعالى - بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار ، وحث على الإنفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أي مما هو معكم على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم .

وأي شيء يمنعكم من الإيمان ، والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به ليخرجكم من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى واليقين ، وإن الله بكم لرؤوف رحيم في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهداية الناس ، وإزاحة العلل ، وإزالة الشُّبَه[١] .

والذين يؤمنون بمحمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤتون أجرهم مرتين إذا كانوا من أهل الكتاب «اليهود والنصارى» ذلك أنهم آمنوا بنبيهم - عليه السلام - ثم آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ، وفي ذلك قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ[٢] هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

---

(١) انظر ابن كثير : ٤/ ٣٢٧ .

(٢) الضمائر تعود إلى القرآن الكريم .

قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ[1] (٥٣) أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا[2] وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ[3] (٥٥) ﴾ [القصص].

فالله - سبحانه وتعالى - يخبر في هذه الآيات القرآنية الكريمة عن العلماء الأولياء من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن، كما قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ[4] ﴾ [البقرة: ١٢١].

---

(١) يعني من قبل هذا القرآن كنا مسلمين أي موحّدين مخلصين لله، مستجيبين له. «تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠٥».

(٢) أي هؤلاء المتصفون بهذه الصفة، الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني، ولهذا قال ﴿**بما صبروا**﴾ أي على اتباع الحق فإن مثل هذا شديد على النفوس. «ابن كثير».

(٣) أي لانريد طريق الجاهلين ولانحبها. قال محمد بن إسحاق في السيرة: ثم قدمَ على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بمكة عشرون رجلا - أو قريب من ذلكَ - من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به، وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبوجهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم، أو كما قالوا لهم. فقالوا لهم: سلام عليكم، لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا. قال ابن اسحق: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟ قال: مازلت أسمع من علمائنا أنهن في النجاشي واصحابه - رضي الله عنهم - والآيات اللاتي في سورة المائدة: ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ «تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠٥. السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٩١ - ٣٩٢».

(٤) تتمة الآية: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾.

وقال تعالى :

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) ﴾ [آل عمران] .

وقال تعالى :

﴿[1] إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) ﴾ [الإسراء] .

وقال تعالى :

﴿[2] وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) ﴾[3] [المائدة] .

وأما آية سورة الحديد، وهي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ

---

(١) قال تعالى : ﴿ وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزّلناه تنزيلا . قل آمنوا به أو لاتؤمنوا . . ﴾ .

(٢) قال تعالى : ﴿ لتجدنَّ أشدَّ النَّاسِ عداوةً للَّذين آمنُوا اليَهُود والَّذين أشْركُوا ﴾ .

(٣) قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم : ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ حتى ختمها ، فجعلوا يبكون وأسلموا ، ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ﴾ «انظر الطبري : ١٠/ ٤٩٩ ؛ وابن كثير : ٢/ ٨٨ ؛ والقرطبي : ٦/ ٢٥٥ و٢٥٦» .

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) ﴾ [الحديد].

فقد حملها ابن عباس - رضي الله عنهما - على مؤمني أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين[1].

ووافق ابن عباس - على هذا التفسير -: الضحاك، وعتبة بن ابي حكيم، وغيرهما، وهو اختيار ابن جرير. وقال سعيد بن جبير: لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله - تعالى - عليه هذه الآية في حق هذه الأمة: ﴿ **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين** ﴾ أي ضعفين ﴿ **من رحمته** ﴾ وزادهم: ﴿ **ويجعل لكم نورا تمشون به** ﴾ يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة ﴿ **ويغفر لكم** ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة. رواه ابن جرير عنه. ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام احمد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا، فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ ألا فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ ألا فعملت النصارى. ثم قال: من يعمل لي من صلاة العصر إلي غروب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين عملتم. فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن كنا أكثر عملا وأقل عطاء. قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئا؟ قالوا: لا. قال: فإنما هو فضلي أوتيه من أشاء)**[2].

---

(١) ابن كثير: ٤/ ٣٣٩.

(٢) ابن كثير: ٤/ ٣٣٩-٣٤٠. مسند الإمام احمد: ٢/ ٦».

وقد ورد في الصحيح عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، ثم اعتقها فتزوجها)**[1].

وروى الإمام احمد عن القاسم بن أبي أمامة قال: إني لتحت راحلة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الفتح فقال قولا حسنا جميلا، وكان - فيما قال -: **(من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله ما لنا، وعليه ما علينا)**[2].

ثانيا: وجوب طاعة الرسول - # - واتباعه

وإذا كان من لوازم الإيمان بالله إلها واحدا لاشريك له الإيمان بمحمد رسوله فإن من لوازم الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا من عند الله: طاعتَه واتباعَه:

فالطاعة[3] الانقياد والتسليم.

والاتباع[4]: الاقتداء والموافقة.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠٥ و٤/ ٣٣٩. صحيح البخاري - كتاب العلم - باب تعليم الرجل أمته وأهله «فتح الباري: ١/ ١٩٠، وانظر اطراف الحديث فيه».

(٢) ابن كثير: ٣/ ٤٠٥. مسند احمد: ٥/ ٢٥٩. تتمته: (.. ومن أسلم من المشركين فله أجره، وله ما لنا وعليه ما علينا).

(٣) أطاعه إطاعة أي انقاد له، وطاعه طوعا - من باب قال - وبعضهم يعديه بالحرف فيقول: طاع له.. وانطاع له: إنقاد. قالوا: ولا تكون الطاعة إلا عن أمر.. يقال: أمره فأطاع. وقال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعة، وإذا وافقه فقد طاوعه. «المصباح المنير: طوع».

(٤) تبع زيد عمرا تبعا - من باب تعب -: مشى خلفه..، والمصلي تبع لإمامه.. وتبع الإمام إذا تلاه، وتبعه: لحقه، وتابعه على الأمر: وافقه. والتبيع: ولد البقرة في السنة الأولى.. سُمّي تبيعا لأنه يتبع أمه، فهو فعيل بمعنى فاعل. «المصباح المنير: تبع».

فطاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - واتباعه هو الانقياد له والتسليم لأمره، والاقتداء به قولا وعملا واعتقادا، وموافقته على ذلك.

والإيمان بالله - عز وجل - وبرسوله - صلى الله عليه وسلم - يقتضي ذلك كله، قال تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥) ﴾ [النساء].

وقد أمر ربُّ العزة تبارك وتعالى بطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - في مواضع كثيرة من كتابه العزيز. فقال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢) ﴾ [التغابن].

أمر الله - جل شأنه - في هذه الآية الكريمة بطاعته وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيما شرع، وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر.

فإن نكلتم عن العمل وعصيتم فإنما عليه ما حُمّل من البلاغ، وعليكم ما حُمّلتم من السمع والطاعة.

قال الزُّهري(١): من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم(٢).

إن طاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - من طاعة الله - سبحانه وتعالى - فقد قال عز وجل:

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أحد الأئمة الأعلام، وعالم الحجاز والشام، مات سنة ١٢٤هـ. «انظر خلاصة تذهيب التهذيب».

(٢) ابن كثير: ٤/ ٤٠١.

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقرن الأمر بطاعته - عز وجل - بالأمر بطاعته - صلى الله عليه وسلم - فقال جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأمر - سبحانه - المؤمنين أن يأخذوا بما آتاهم الرسول ويهتدوا بهديه، وأن ينتهوا بنهيه، فقال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وجعل - سبحانه وتعالى - الهداية والتوفيق لها مرهون بطاعته - صلى الله عليه وسلم - فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ [النور].

فهو - صلى الله عليه وسلم - ما من خير إلا ودل عليه وأمر به وما من شر إلا وحذر منه ونهى عنه، كما قال عبد الله بن مسعود: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه[1].

ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لاشريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى:

---

(١) انظر ابن كثير: ٢/ ٢٦٤.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ[1] فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ (٣٦) ﴾ [النحل].

والعمل بمقتضى أوامره ونواهيه - صلى الله عليه وسلم - منسجم وموافق للفطر السليمة والنفوس الصالحة المستقيمة، لذلك قال - عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الإمام احمد عن أبي حميد[2] وأبي أسيد[3] - رضي الله عنهما - عنه - صلى الله عليه وسلم -:

(إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به. وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه)[4].

ولذلك فإن الحديث الثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لايظن به إلا خيرا وأنه هو الأهدى والأتقى والأهنى كما قال عليٌّ: إذا سمعتم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثا فظُنّوا به الذي هو أهدى، والذي هو أهنى، والذي هو أتقى[5].

---

(١) المرجع السابق: ٢/ ٢٦٤.

(٢) مصغرا، ابن عبد الرحمن الساعدي. «المغني في ضبط الاسماء: ٨٢». وقال في الخلاصة «في الكنى»: ٤٤٨: ابو حميد الساعدي، اسمه عبد الرحمن أو المنذر بن عمرو بن سعيد.. ابن الخزرج.. توفي في أول خلافة معاوية. أ. هـ. قلت: لكن في الاستيعاب وفي الاصابة أنه توفي آخر خلافة معاوية، زاد في الاصابة: أو أول خلافة يزيد ابن معاوية.

(٣) مالك بن ربيعة بن البدى - بفتح الموحدة والدال المهملة، وقيل: الصواب: «البدن» بالنون آخره -.. الخزرجي الساعدي، ابو أسيد - بضم الهمزة - البدري، صحابي جليل،.. مات سنة ستين «الخلاصة: ٣٦٧ وهامشها».

(٤) ابن كثير: ٢/ ٢٦٤. وقال: رواه الإمام احمد - رضي الله عنه - باسناد جيد، ولم يخرجه احد من اصحاب الكتب. مسند الإمام أحمد: ٣/ ٤٩٧ «آخرها». و٥/ ٤٢٥، السطر (١١).

(٥) ابن كثير، من رواية الإمام أحمد. المسند: ١/ ١٢٢.

﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقرن الأمر بطاعته - عز وجل - بالأمر بطاعته - صلى الله عليه وسلم - فقال جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأمر - سبحانه - المؤمنين أن يأخذوا بما آتاهم الرسول ويهتدوا بهديه، وأن ينتهوا بنهيه، فقال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وجعل - سبحانه وتعالى - الهداية والتوفيق لها مرهون بطاعته - صلى الله عليه وسلم - فقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

فهو - صلى الله عليه وسلم - ما من خير إلا ودل عليه وأمر به وما من شر إلا وحذر منه ونهى عنه، كما قال عبد الله بن مسعود: إذا سمعت الله يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فارعها سمعك فإنه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه[١].

ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لاشريك له والنهي عن عبادة من سواه كما أرسل به جميع الرسل قبله كما قال تعالى:

---

(١) انظر ابن كثير: ٢/ ٢٦٤.

الباب الثاني
النبي محمد صلى الله عليه وسلم
دعوة إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم
وموقف احبار اليهود والنصارى منه

ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول: في أخذ الله عز وجل العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم

الفصل الثاني: النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على أن الأنبياء الكرام وكتبهم المنزلة قد ذكرت محمدا صلى الله عليه وسلم وبشرت به

الفصل الثالث: فيمن اعترف بنبوة محمد صلى الله عليه فآمن به أو كفر من علماء اليهود وزعمائهم

الفصل الرابع: فيمن اعترف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به أو كفر من علماء النصارى وزعمائهم

الفصل الأول

في أخذ الله - عز وجل - العهد والميثاق على النبيين وأممهم بالإيمان بمحمد - ﷺ - واتباعه

هذا ولقد أخذ الله - سبحانه وتعالى - العهد والميثاق على النبيين الذين بعثوا قبل رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - أن يؤمنوا هم وأممهم به ويتبعوه - صلى الله عليه وسلم - إن هم أدركوه. قال الله - عز وجل -:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا[1] آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي[2] قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمدا - وذلكم النبي حي - ليؤمننَّ به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بُعث محمد - وهم أحياء - ليؤمنُنَّ به ولينصرُنُّه[3].

---

(١) بفتح اللام للابتداء، أو دخلت لتوكيد معنى القسم؛ لأن أخذ الميثاق قسم في المعنى. وبكسرها متعلقة بـ«أخذ»، و«ما» موصولة على الوجهين، أي الذي. «سبل الهدى: ١/ ٩٠».

(٢) أي عهدي وميثاقي الشديد المؤكد.

(٣) ابن كثير: ١/ ٣٨٦. وانظر سبل الهدى: ١/ ٩٠. وقال طاوس والحسن البصري وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدّق بعضهم بعضا. قال ابن كثير: وهذا لا يضاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه.

ولهذا فإن من أعرض عن رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد ضل سواء السبيل ولو كان متبعا نبيا غيره بزعمه، لذلك قال الله - سبحانه وتعالى - إثر آية الميثاق المذكورة:

﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لعمر بن الخطاب[١] - رضي الله عنه -:

(والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين).

بل لو كان نبيُّ الله موسى - عليه السلام - حيا كان لابد له من اتباع رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، فقد قال - عليه الصلاة والسلام -:

(.. والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى - صلى الله عليه وسلم - كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتَّبعني)[٢].

وفي بعض الأحاديث: **(لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي)**[٣].

---

(١) عندما جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يارسول الله، إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغير وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال عبد الله «هو ابن ثابت، راوي الحديث»: فقلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -. فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - رسولا. قال: فسُرِّي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قال: .. «الحديث». مسند الإمام احمد: ٣/ ٤٧٠-٤٧١. ابن كثير: ١/ ٣٨٦.

(٢) رواه الإمام احمد «٣/ ٣٨٧» عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فغضب، فقال: أمتهوِّكون فيها يا ابن الخطاب؟!، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به .. «الحديث».

(٣) ابن كثير: ١/ ٣٨٦.

فالرسول محمد خاتم الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين - هو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم، ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في المحشر في إتيان الربِّ - جلَّ جلاله - لفصل القضاء بين عباده وهو المقام المحمود الذي لايليق إلا له، والذي يحيد عنه أُولو العزم من الأنبياء والمرسلين حتى تنتهي النوبة إليه فيكون هو المخصوص به، صلوات الله وسلامه عليه[1].

والآية السابقة نصت على أخذ الميثاق من النبيين أن يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وينصروه، لكن الآية السابعة والثمانين بعد المائة (١٨٧) من سورة آل عمران نفسها نصت على أخذ ميثاق الذين أوتوا الكتاب[2] وعرفوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - وعلموا الحق الذي بعث به أن يبينوا ذلك كله ولايكتمونه، لأن الناس تبعٌ لعلمائهم وإضلالهم وهدايتهم مرهونة بهم، فقال - عزّ من قائل - :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾ [آل عمران].

قال العلامة ابن كثير - يرحمه الله - مفسرا الآية:

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) ابن كثير: ١/ ٣٨٦. وانظر كلام تقي الدين السبكي في هذه القضية فقد أجاد، نقله في سبل الهدى: ١/ ٩١.

(٢) وهم اليهود والنصارى، والمراد هنا علماؤهم.

وأن ينوهوا بذكره فيكونوا على أهبة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك، وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم.

فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:

(من سئل عن علم فكتمه أُلجِمَ يوم القيامة بلجام[1] من نار[2]).

ا. هـ[3].

إن أحبار يهود والنصارى يتحملون المسؤلية كاملة لعدم تبليغهم الحق أتباعهم وعدم بيان الحقيقة لهم ويبوؤن بإثمهم وإثم أتباعهم لكتمانهم الحق وقد أُمروا بتبليغه وبيانه وحذّرهم الله سبحانه من أن يخشوا الناس أو أن يشتروا بآيات الله ثمنا تافها من جاه زائل أو زينة دنيوية سراب. فتدبر قول الله تعالى، وأمعن النظرَ فيه، وافهم:

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا[4] مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ

---

(١) اللجام آلة توضع في فم الفرس ليسهل قياده، جمعه: لُجُم، مثل: كتاب وكتب. «وانظر المصباح: لجم».

(٢) ورواه الإمام احمد «٢/ ٢٩٦ و٣٥٣» عن أبي هريرة.

(٣) ابن كثير: ١/ ٤٤٥ - ٤٤٦.

(٤) قال أبو عبيدة: بما استودعوا من كتاب الله. انظر صحيح البخاري: ٩/ ٨٤. وفتح الباري: ١٣/ ١٤٧.

يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ [المائدة].

وقال - سبحانه وتعالى - في شأن ميثاق النصارى خاصة:

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة].

قال ابن كثير مفسرا:

أي: ومن الذين ادّعوا لأنفسهم أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم - عليه السلام -، وليسوا كذلك، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومناصرته، ومؤازرته، واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بكل نبي يرسله الله إلى الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود: خالفوا المواثيق ونقضوا العهود . . ، فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا، ولايزالون كذلك إلى قيام الساعة.

ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لايزالون متباغضين، متعادين، يُكَفِّرُ بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، فكل فرقة تحرّم الأخرى ولاتدعها تلج معبدها، فالملكية[1] تُكَفِّرُ

(١) أو الملكانية أو الملكيّون: طائفة من النصارى منتشرة في سورية ومصر وفلسطين، وكنيستهم تسمى: كنيسة الروم، ويتكلم معظمهم العربية، وبطريركهم يقيم في دمشق والقاهرة. سُمّوا الملكيين لأنهم أيدوا قرار مجمع خلقدونية عام ٤٥١م ضد المذهب القائل بالطبيعة الواحدة للمسيح ذلك القرار الذي تبناه الامبراطور «مرقيانوس»، فلقبهم مخالفوهم - إزدراءً لهم - بالملكيين. انضم فرع منهم إلى الكنيسة الكاثوليكية، فهم يعترفون برئاسة بابا روما، ويسمّون: الروم الكاثوليك. والفرع الثاني هم الروم الأرثوذكس. ويعتقدون أن الله - تعالى - عبارة عن ثلاثة أشياء: أب، وابن، وروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى عليه السلام إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه هو الذي صُلب وقُتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك، وأن مريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما - معا - شيء واحد: ابن الله. تعالى الله عن كفرهم. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم: ١/ ١١٠ وهامشها، والمنجد «الأعلام»: ٦٨٤.

اليعقوبية[1]، وكذلك الآخرون، وكذلك النَّسْطوريّة[2] والآريوسية[3] كل طائفة تكفِّر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. ثم قال - تعالى -:

﴿ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

وهذا تهديدٌ ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله ورسوله، وما نسبوه إلى الربِّ - عزّ وجلَّ وتعالى وتقدّس عن قولهم علوا كبيرا - من جعلهم له صاحبة وولدا، تعالى الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[4].

ولاشك ولاريب أن من لم يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا ورسولا من الله إلى الخلق أجمعين فهو كافر مكذب لله رب العالمين إذ لم يصدقه فيما أرسل ولم يطعه فيما أمر، وهو كافر ومكذب أيضا لنبيه وكتابه المنزل اللذين بشَّرا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمرا بطاعته واتباعه، فهو بذلك مستحق لسخط الله والنار. عياذا بالله.

---

(١) أو اليعاقبة، نسبة إلى يعقوب البردعي أسقف الرها «٥٤١ - ٥٧٨م»، «المنجد (الأعلام): ٧٥٠». ولغتهم السريانية، يعيشون في مصر والنوبة والحبشة. عقيدتهم: أن المسيح هو الله - تعالى - كان في بطن مريم محمولا به. انظر الفصل: ١/ ١١١ وهامشها.

(٢) أو النساطرة، نسبة إلى نسطوريوس «Nestorius» بطريرك القسطنطينية «٤٢٨م»، والكنيسة النسطورية مقرها فارس، وتدعى أحيانا بالكنيسة الآشورية، ولايزال لها أتباع في العراق وإيران والهند ومقالتهم كمقالة الملكانية، إلا أنهم قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وأن الله - تعالى - لم يلد الانسان وإنما ولد الإله. تعالى الله عن كفرهم. انظر الفصل: ١/ ١١١ وهامشها، والمنجد (الأعلام): ٧٠٨.

(٣) الآريوسية: نسبة إلى آريوس «Arius»: كاهن إسكندري قال: إن «الكلمة» غير مساوٍ للأب في الجوهر، فحرمه المجمع النيقاوي «٣٢٥م». «المنجد (الأعلام): ٣».

(٤) ابن كثير: ٢/ ٣٥.

ولقد جمعني ذات يوم - من أيام سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) - مجلسٌ في بيت أحد الفضلاء بحي الزهراء بمكة المكرمة برجل من أمريكا زائر، وهو دكتور يُدرّس في إحدى الجامعات الأمريكية تاريخ الأديان، ذكر - في جملة ما كان يتحدث به - أن أحد تلاميذه من يهود - واثنى على أخلاقه وحسن أدبه - سأله قائلا: هل تعتقد أن اليهود مصيرهم إلى النار؟ فأُحرج الاستاذ فما كان منه إلا أن ينفي ذلك، ولقد كذب الاستاذ على ربه سبحانه وعلى نبيه - صلى الله عليه وسلم - المبلّغ عن الله - عز وجل - وعلى نفسه وعلى تلميذه اليهودي وعلى سامعيه، وسبب موقفه المشين وجوابه الكاذب خشيته الناس واستحياؤه منهم، ونسي أن الله أحق أن يُخشى وأولى أن يُستحى منه، ذلك أن الله - تعالى - الذي خلق الخلق مؤمنهم وكافرهم هو الذي حكم على الكافرين بالنار، وللمؤمنين بالجنة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ**﴾ [البينة]. وقال نبي الهدى محمد - صلى الله عليه وسلم - **(من سمع بي من أمتي أو يهودي أو نصراني فلم يؤمن بي لم يدخل الجنة)**[1].

وما الرسل ومن بعدهم من العلماء الوارثين علمهم إلا مبلّغين عن الله شرائعه وأحكامه.

---

(١) رواه أحمد عن أبي موسى الأشعري «المسند: ٤/ ٣٩٦ و٣٩٨»؛ وانظر ابن كثير: ٢/ ٢٦٥-٢٦٦».

وكان الواجب على هذا الدكتور وغيره من المسلمين الذين يتعاملون مع اليهود والنصارى أن لايخاف في الله لومة لائم وأن يقول لهذا اليهودي ومن على شاكلته إذا ما صدر منه مثل هذا السؤال : يا هذا أنا وأنت في هذه القضية سواء فمن آمن بجميع الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - الذين أمرنا الله - سبحانه - بالإيمان بهم دون تفريق بين أحد منهم فهو مؤمن بالله موعود برضوانه والجنة، ومن كفر بواحد من أنبياء الله ومرسليه فهو كافر بالله مستحق لغضبه وسوء عقابه، فأنا المسلم إذا لم أومن إيمانا صادقا وجازما بنبوة موسى أو عيسى - على نبينا وعليهما الصلاة والسلام - فأنا لم أومن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإن زعمت أنني مسلم، وبالتالي فأنا كافر بالله «عياذا بالله».

وأنت أيها اليهودي «أو النصراني» كذلك، إذا لم تؤمن برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - فإنك لم تؤمن بموسى ولا بعيسى المبَشِّرَيْن ببعثة رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - الآمرين أتباعهما بالإيمان به إن هو بُعث وعلموا ببعثته، وبالتالي فأنت كافر بالله مستحق لدخول النار، وبئس المصير. فاختر لنفسك.

قال تعالى :

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٠) ﴾ [السجدة].

وقال جلّ شأنه:

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) ﴾ [القلم].

فهذا - إن شاء الله - جواب منصف لاحرج فيه - إذا تحرج من تحرج - بل إنه مقنع لمن نشد الحق والحقيقة، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الثاني
النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالة على أن الأنبياء الكرام وكتبهم المنزلة قد ذكرت النبي محمداً - ﷺ - وصفته وبشَّرت به

لقد ذكر القرآن الكريم الحقائق الآتية :

الحقيقة الأولى : أن نبي الله إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - دعوا الله ربَّهما أن يبعث في هذه الأمة هذا الرسول الكريم، قال الله - عز وجل - :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة : ١٢٧ - ١٢٩] .

فالآية الأخيرة هذه : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ إخبار عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم أن يبعث الله فيهم رسولا منهم - أي من ذرية إبراهيم - .

وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق في بعث محمد - صلوات الله وسلامه عليه - رسولا في الأميين، إليهم وإلى سائر الأعجميين من الإنس والجن[١] .

روى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية[٢] قال :

---

(١) ابن كثير : ١/ ١٨٩ .

(٢) أبو نجيح السلمي، من أهل الصُّفّة، أحد البكائين، سكن حمص، ومات في فتنة ابن=

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **(إني عند الله لخاتم النبيين وإنَّ آدم لمنجدل[1] في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك[2] ؛ دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت[3]، وكذلك أمهات النبيين يرين)**[4].

الحقيقة الثانية : أن عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم - عليه السلام - بشَّر به : قال الله - تعالى - :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) ﴾ [الصف : ٦].

فالتوراة بشَّرت بعيسى وهو مصداق ما أخبرت به، وعيسى مبشر بمن بعده وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد، فخاتم أنبياء بني اسرائيل عيسى ابن مريم - عليه السلام - قام في ملأ بني إسرائيل مبشرا بمحمد - وهو أحمد - خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة[5].

و(أحمد) من أسمائه - صلى الله عليه وسلم - ففي الحديث

=الزبير . وكان مقتل ابن الزبير عام ٧٣هـ.

(١) قال ابن الأثير : أي ملقى على الجدالة، وهي الأرض . «النهاية : ١/ ٢٤٨».

(٢) المراد أن أول من نوه بذكره وشهره في الناس ابراهيم - عليه السلام - ، ولم يزل ذكره في الناس سائرا مشهورا حتى أفصح باسمه عيسى ابن مريم - عليه السلام - «انظر ابن كثير : ١/ ١٩٠».

(٣) وفي رواية أبي أمامة مرفوعا : (. . ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام). «ابن كثير».

(٤) ابن كثير : ١/ ١٩٠ و٤/ ٣٨٤ و٣٨٥ . مسند أحمد : ٤/ ١٢٧، السطر (١٨).

(٥) انظر ابن كثير : ٤/ ٣٨٤.

المتفق على صحته واللفظ للبخاري[1]: **(لي خمسة أسماء[2]، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشَر الناس على قدمي، وأنا العاقب)** صلى الله عليه وسلم.

روى البيهقي[3] عن مقاتل بن حيّان[4] - رحمه الله تعالى - قال: أوحى الله - تعالى - إلى عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام -:

[جِدَّ في أمري[5] ولاتهزل واسمع وأطع يا ابن الطاهرة

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح: (باب ما جاء في أسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) من كتاب المناقب: ٦/ ٥٥٤. و(باب يأتي من بعدي اسمه أحمد) من كتاب التفسير: ٨/ ٦٤٠.

(٢) أراد أن لي خمسة أسماء أختص بها، لم يسمَّ بها أحد قبلي، ولم يرد الحصر فيها. فـ«محمد» أشهر اسمائه - صلى الله عليه وسلم -، وقد تكرر في القرآن، وهو من باب التفعيل للمبالغة وهو بمعنى محمود، منقول من صفة الحمد، وكان ابوطالب يقول:

وشقّ له من اسمه ليُجلّه فذو العرش محمود وهذا محمد

والمحمد الذي حمد مرة بعد مرة، أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، وقد خُص - صلى الله عليه وسلم - بسورة الحمد، وبلواء الحمد، وبالمقام المحمود، وشُرع له الحمد بعد الأكل، وبعد الشرب، وبعد الدعاء، وبعد القدوم من السفر، وسميت أمته الحمادين، فجمعت له معاني الحمد وأنواعه. وأما «أحمد» فمن باب التفضيل، ومعناه أحمد الحامدين، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حمادون، وهو أحمدهم، أي أكثرهم حمدا. وقوله: (الذي يحشر الناس على قدمي) أي على أثري، أي أنه - صلى الله عليه وسلم - أنه يحشر قبل الناس، كما في الحديث: (أنا أول من تنشق عنه الأرض). وأما (العاقب) فقد ورد في رواية زيادة: (الذي ليس بعده نبي). ومما وقع من أسمائه - صلى الله عليه وسلم - في القرآن: «الشاهد، المبشر، النذير المبين، الداعي إلى الله، السراج المنير، المذكر، الرحمة، النعمة، الهادي، الشهيد، الأمين، المزمل، المدثر». ومن اسمائه المشهورة: «المختار والمصطفى، والشفيع المشفَّع، والصادق المصدوق» وغير ذلك. راجع فتح الباري: ٦/ ٥٥٤-٥٥٨. وانظر: باب ذكر اسماء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ١٥١-١٦١.

(٣) دلائل النبوة: ١/ ٣٧٨. وانظر سبل الهدى: ١/ ٩٧-٩٨.

(٤) البلخي، البكري - مولاهم -، الخرّاز، روى عن مجاهد وعروة وسالم، وروى عنه ابراهيم بن أدهم وابن المبارك، وثقه ابن معين، وأبوداود، وقال النسائي: ليس به بأس. (الخلاصة).

(٥) في سبل الهدى: «جدَّ في بني إسرائيل».

البـكر البتـول[1] . إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالـمين، فإيّاي فاعبد، وعليَّ فتوكّل، فسِّر لأهل سوران بالسُّريانية[2]، بلِّغ من بين يـديك: أني أنـا الله الحيُّ القيـوم الـذي لا أزول، صدِّقـوا النبـيَّ الأمي العربي، صاحـب الجمل، والـمدرعة[3]، والعمامة - وهي التـاج -، والنعلين، والهراوة - وهي القضيب - الجعد[4] الرأس الصَّلـت[5] الجبين، المفروق[6] الحاجبين، الأنجل[7] العينين، الأهدب الأشـفـار[8]، الأدعج العينين[9]، الأقنى[10] الأنف، الواضح الخدَّين، الكثّ اللحية، عرقه في وجهه كأنه

---

(١) سمّيت مريم بذلك من قولهم: امرأة بتول، أي: منقطعة عن الرجال لاشهوة لها فيهم. «سبل الهدى: ١/ ٩٨».

(٢) في سبل الهدى: (فسر - أمر بالسير - إلى أهل سورانية). ا. هـ وسورانية جزيرة كبيرة في بحر الروم، كما قال ياقوت. والظاهر صواب عبارة البيهقي، و«سوران» أو «سورا»: موضع بالعراق من أرض بابل، وهي مدينة السُّريانيين. (معجم البلدان).

(٣) المدرعة والمدرع واحد، وادّرع الرجل: لبس الدِّرع. ودرع الحديد: ما يتخذ من لباس الحرب لحماية الصدر. ودرع المرأة: قميصها. «انظر المختار (درع). ».

(٤) جعد - بضم العين وكسرها - الشَّعر جعودةً: إذا كان فيه التواء وتقبُّض، فهو جعد، وذلك خلاف المسترسل. «المصباح: جعد».

(٥) أي واسع الجبين. «النهاية في غريب الحديث: صلت».

(٦) في سبل الهدى: «المقرون الحاجبين»، والقرن - بالتحريك -: التقاء الحاجبين، وهذا متفق مع وصف أم معبد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قال ابن الاثير: والصحيح: «سوابغ في غير قرن». «انظر النهاية: قرن: ٤/ ٥٤».

(٧) النَّجل - بفتحتين -: سعة العين، وحسنها.. وعينٌ نجلاء مثل حمراء «المصباح» وفي رواية «سبل الهدى»: أكحل العينين.

(٨) هُدب العين: ما نبت من الشعر على أشفارها، والجمع: أهداب، ورجلٌ أهدب: طويل الأهداب. «المصباح».

(٩) الدَّعج: سعة العين مع سوادها، وقيل: شدَّة سوادها في شدة بياضها. «المصباح».

(١٠) القنا في الأنف: طوله، ورقة أرنبته مع حدب في وسطه، وهذا متفق مع وصفه - صلى الله عليه وسلم - بأنه: «كان أقنى العرنين»، والعرنين: الأنف. «انظر النهاية: قنا».

اللؤلؤ، ريح المسك ينفح منه، كأنّ عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لبّته إلى سرته تجري كالقضيب، ليس على صدْره ولا على بطنه شعر غيره، شثن الكفين والقدمين[1]، إذا جاء مع الناس[2] غمرهم[3]، وإذا مشى كأنما يتقلَّع من الصخر وينحدر في صبب، ذو النسل القليل[4]].

وعن أبي موسى الأشعري[5] - رضي الله تعالى عنه - قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ننطلق إلى أرض النجاشي، فذكر حديثه، قال النجاشي: أشهد أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه الذي بشَّر به عيسى ابن مريم، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه[6].

وروى البيهقي[7] عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قَدِمَ الجارود بن عبد الله فأسلم، وقال: والذي بعثك بالحق لقد وجدتُ وصفك في الإنجيل، ولقد بشَّر بك ابن البتول.

ولقد بشَّر به - صلى الله عليه وسلم - الأنبياء أقوامهم

---

(١) شثن - وزان فلس - الكفين والقدمين: غليظهما، وقد شثنت الأصابع - من باب تعب - إذا غلظت من العمل. «المصباح».

(٢) في سبل الهدى: «إذا جامع الناس».

(٣) غمرهم: أي علاهم شرفا. «سبل الهدى».

(٤) ذو النسل القليل: أراد الذكور من صلبه - صلى الله عليه وسلم - «سبل الهدى» و«دلائل البيهقي».

(٥) عبد الله بن قيس بن سليمان بن حضار، هاجر إلى الحبشة، وعمل على زبيد وعدن وولي الكوفة لعمر والبصرة، توفي سنة ٤٢هـ. «الخلاصة».

(٦) رواه أبوداود في سننه - باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك - كتاب الجنائز، «ح: ٣٢٠٥»: ٣/ ٢١٢. وانظر سبل الهدى: ١/ ٩٨.

(٧) كما في «سبل الهدى: ١/ ٩٨».

ما مضت فترة من الرسل إلا   بشّرت قومها بك الأنبياء[1]

الحقيقة الثالثة التي ذكرها القرآن الكريم: أن الرسول النبي الأمي محمدا - صلى الله عليه وسلم - مكتوب في التوراة والإنجيل، ومذكورة فيهما صفته وصفة أصحابه رضوان الله عليهم.

قال الله تعالى منوها به - صلى الله عليه وسلم - وبمن اتبعه من أهل الكتاب:

﴿ وَاكْتُبْ[2] لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف].

وهذه صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتب الأنبياء، بشّروا أممهم ببعثه وأمروهم بمتابعته ولم تزل صفاته موجودة في كتبهم يعرفها علماؤهم وأحبارهم[3].

وقال - تعالى - منوّها بعبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ومشيدا بأصحابه الكرام - رضي الله عنهم - ذاكرا ما مُثِّلوا

---

(١) الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري «البيت السابع».

(٢) من دعاء سيدنا موسى عليه السلام. راجع الآية ١٥٥ من سورة الأعراف.

(٣) ابن كثير: ٢/ ٢٦٢.

به في التوراة[1] والإنجيل:

﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾

[الفتح: ٢٩].

فقوله - سبحانه -: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ﴾ تنويه من الله تبارك وتعالى بذكر نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام - رضي الله عنهم - في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة[2].

وروى البخاري[3] عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التوراة. قال: أجل؛ والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن:

[يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا[4]، وحرزا

---

(١) قال ابن كثير «٢/ ٢٦٤»: قال البخاري: ويقع في كلام كثير من السلف إطلاق التوراة على كتب أهل الكتاب. اهـ. قلت: لكن إذا جاء ذكر التوراة مع ذكر الإنجيل فالمراد بها حينئذ الكتاب الذي أنزله الله على نبيه موسى - عليه الصلاة والسلام - كما أن الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله - سبحانه - على نبيه عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام -.

(٢) انظر ابن كثير: ٤/ ٢١٩.

(٣) في (باب كراهية السخب في الأسواق) من كتاب البيوع. «الفتح: ٤/ ٣٤٢». وانظر دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ٣٧٤. وتفسير ابن كثير: ٢/ ٢٦٣-٢٦٤. وسبل الهدى والرشاد: ١/ ٩٦.

(٤) كما في الآية الخامسة والأربعين من سورة الأحزاب.

للأميين، أنت عبدي[1] ورسولي[2]، سميتك المتوكل[3]، ليس بفظ ولاغـليظ[4]، ولا سخّاب[5] في الأسواق، ولايدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لاإله إلا الله، ويُفتحُ بها[6] أعينٌ عميٌ، وآذانٌ صمٌ، وقلوب غلف[7]].

وفي رواية للبخاري[8] عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -: «أن هذه الآية التي في القرآن: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ⑧﴾ [الفتح]، قال: في التوراة:

[ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين[9]

---

(١) كما في الآية الأولى من سورة الاسراء: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾.

(٢) كما في الآية التاسعة والعشرين من سورة الفتح: ﴿محمد رسول الله﴾.

(٣) أي على الله، لقناعته باليسير، والصبر على ما كان يكره. «الفتح: ٨/ ٥٨٦».

(٤) كما في الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

(٥) بالسين من السخب، وهو لغة ربيعة في الصَّخب، وهو رفع الصوت. «سبل الهدى: ١/ ٩٧».

(٦) أي بكلمة التوحيد.

(٧) قال البخاري: غُلف: كلُّ شيء في غلاف، سيف أغلف، وقوس غلفاء، ورجلٌ أغلف: إذا لم يكن مختونا. «الفتح: ٤/ ٣٤٣». وفي ابن كثير ودلائل البيهقي: قال عطاء: ثم لقيت كعب الأحبار فسألته، فما اختلفا في حرف، إلا أن كعبا قال بلغته: قلوبا غلوفيا، وآذانا صموميا، وأعينا عموميا.

(٨) باب (إنّا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) من كتاب التفسير: ٨/ ٥٨٥. وانظر دلائل البيهقي: ١/ ٣٧٥.

(٩) أي حفظا للعرب، والعرب أميون لأن الكتابة عندهم قليلة. قال في سبل الرشاد «١/ ٩٦»: وليس لليهود أن يتمسكوا بقوله: «حرزا للأميين» على ما زعموا أنه - صلى الله عليه وسلم - مبعوث إلى العرب خاصة، لأن قوله: «حتى يقيم الملة العوجاء» يشملهم لأنهم بدلوا وحرفوا وغيروا، فأرسل - صلى الله عليه وسلم - إليهم ليقيم عوجهم، وهل أحد أولى منهم بإقامة عوجهم ؟!.

أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولاغليظ، ولاسخاب بالأسواق، ولايدفع السيئة بالسيئة[1]، ولكن يعفو ويصفح[2]، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا].

النعمان السبئي يخبر عن صفة النبي محمد - ﷺ - وأصحابه في التوراة:

النعمان السبئي كان من أحبار يهود اليمن[3]، فلما سمع برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدم عليه فسأله عن أشياء، ثم قال له: إن أبي كان يختم على سفر، ويقول: لاتقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب، فإذا سمعت به فافتحه.

قال النعمان: فلما سمعت به فتحت السِّفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة، وإذا فيه ما تُحلُّ وما تحرِّم، وإذا فيه أنك آخر الأنبياء، وأمتك آخر الأمم، واسمك: أحمد، وأمتك: قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم صدورهم، لايحضرون قتالا إلا وجبريل معهم، ويتحنن الله - تعالى - عليهم كتحنن الطير على أفراخه.

ثم قال لي: إذا سمعت به فاخرج إليه وصدقه.

---

(١) كما في الآية السادسة والتسعين من سورة المؤمنون: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾، والآية الرابعة والثلاثين من سورة فُصّلت: ﴿ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾.

(٢) كما في الآية الثالثة عشرة من سورة المائدة: ﴿.. فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين﴾.

(٣) ويقال: إن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي الكذاب وقطعه عضوا عضوا، والنعمان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، وأنك كذاب مفتر على الله عز وجل. ثم حرقه بالنار. «سبل الهدى: ٣/ ٣٧٨».

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحب أن يسمع أصحابه حديثه، فأتاه يوما فقال: **[يانعمان حدِّثنا]**، فابتدأ الحديث من أوله، فرأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبتسم، ثم قال: **[أشهد أني رسول الله]**[1].

ولقد بشَّرت التوراة بإسماعيل - عليه السلام - وأن يقيم من صلبه اثنى عشر عظيما[2].

ويلزم من هذه البشارةُ بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لأن اسماعيل جده وهو سَبيله إلى الوجود، ولأن العظماء الاثنى عشر أخبر بهم النبي - صلى الله عليه وسلم - أيضا، وأنهم كائنون بعده، فكان منهم بعده: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز، وهم من صلب إسماعيل - عليه السلام -، وقد روى الإمام أحمد عن مسروق قال:

كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود - وهو يقرئنا القرآن -، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: كم يملك هذه الأمة من خليفة؟

فقال عبد الله بن مسعود: ما سألني عنها أحد - منذ قدمت العراق - قبلك، ثم قال:

نعم، ولقد سألنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: **[اثنا عشر كعدة نقباء بني إسرائيل]**[3].

---

(١) سبل الهدى: ٣/ ٣٧٨.

(٢) ابن كثير: ٢/ ٣٤.

(٣) المسند: ١/ ٣٩٨. وانظر ابن كثير: ٢/ ٣٤. وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وأصله ثابت في الصحيحين من حديث جابر بن سمرة.

كما روى الإمام أحمد - أيضا - وغيره عن جابر بن سمرة، فقال: كنت مع أبي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **[لايزال هذا الدين عزيزا** أو قال: **لايزال الناس بخير** - شك أبو عبد الصمد[1] - **إلى اثني عشر خليفة]**، ثم قال كلمة خفية، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: **[كلهم من قريش]**[2].

ولقد تواترت الأخبار وتضافرت على تأكيد هذه الحقيقة من ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي صخر العقيلي قال: حدثني رجل من الأعراب قال: (جلبت جلوبة[3] إلى المدينة في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما فرغت من بيعي قلت: لألقين هذا الرجل[4] فلأسمعن منه. قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يُعزّي بها نفسه على[5] ابن له في الموت[6] كأحسن

---

(١) احد رواة الحديث.

(٢) المسند: ٥/ ٩٨. وانظر ابن كثير: ٢/ ٣٤. وقال: ومعنى هذا الحديث: البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق، ويعدل فيهم، ولايلزم من هذا تواليهم وتتابع أيامهم، بل قد وجد منهم أربعة على نسق، وهم الخلفاء الأربعة: ابوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم -، ومنهم: عمر بن عبد العزيز - بلاشك عند الأئمة -، وبعض بني العباس، ولاتقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة، والظاهر أن منهم المهدي المبشر به في الأحاديث الواردة بذكره، فذكر أنه يواطيئ اسمه اسم النبي - صلى الله عليه وسلم -، واسم أبيه اسم ابيه، فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما. اهـ.

(٣) وردت بالحاء المهملة، وعليه فمعناها: الناقة الحلوب. ووردت بالجيم فمعناها ما يؤتى به من البوادي والقرى للبيع في المدن.

(٤) يعني رسول الله محمدا - صلى الله عليه وسلم -.

(٥) في ابن كثير وفي سبل الهدى: عن ابن.

(٦) أي في سياق الموت يحتضر.

الفتيان وأجمله[1]. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟)** فقال برأسه هكذا - أي: لا -. فقال ابنه: والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: **(أقيموا اليهود[2] عن أخيكم)**. ثم ولي كفنه وحنطه[3]، وصلى عليه[4].

ورواه البيهقي[5] عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة.

فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يايهودي، أنشدك بالله - الذي أنزل التوراة على موسى - هل تجد في التوراة نعتي وصفتي[6] ومخرجي؟ قال: لا. قال الفتى: يارسول الله، إنا نجد لك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) في ابن كثير «٢/ ٦٢»: كأجمل الفتيان وأحسنها. وفي سبل الهدى: «كان من أحسن الفتيان وأجملهم».

(٢) في ابن كثير: «اليهودي».

(٣) الحنوط والحناط: طيب يخلط للميت خاصة «المصباح».

(٤) مسند أحمد: ٥/ ٤١١. تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٦٢. وقال: هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح عن أنس. وانظر دلائل النبوة للبيهقي: ٦/ ٢٧٢. وسبل الهدى والرشاد: ١/ ٩٧. ومجمع الزوائد: ٨/ ٢٣٤. وقال: أبو صخر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) دلائل النبوة: ٦/ ٢٧٢. وقد تتكرر الحادثة.

(٦) يقال: الصفة إنما هي بالحال المنتقلة. والنعت: بما كان في خلق أو خُلُق. «المصباح: وصف».

لأصحابه : **[أقيموا هذا[1] من عند رأسه ولوا[2] أخاكم]**.

وروى الإمام أحمد[3] - رحمه الله - عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : إن الله - عز وجل - ابتعث نبيه - صلى الله عليه وسلم - لإدخال رجل إلى الجنة ، فدخل الكنيسة فإذا هو بيهود ، وإذا يهودي يقرأ عليهم التوراة ، فلما أتوا على صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - أمسكوا ، وفي ناحيتها رجل مريض . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : **[مالكم أمسكتم]** ؟ .

قال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا .

ثم جاء المريض يحبو[4] حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأمته ، فقال :

هذه صفتك وصفة أمتك ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ثم مات . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه : **[لوا أخاكم]** .

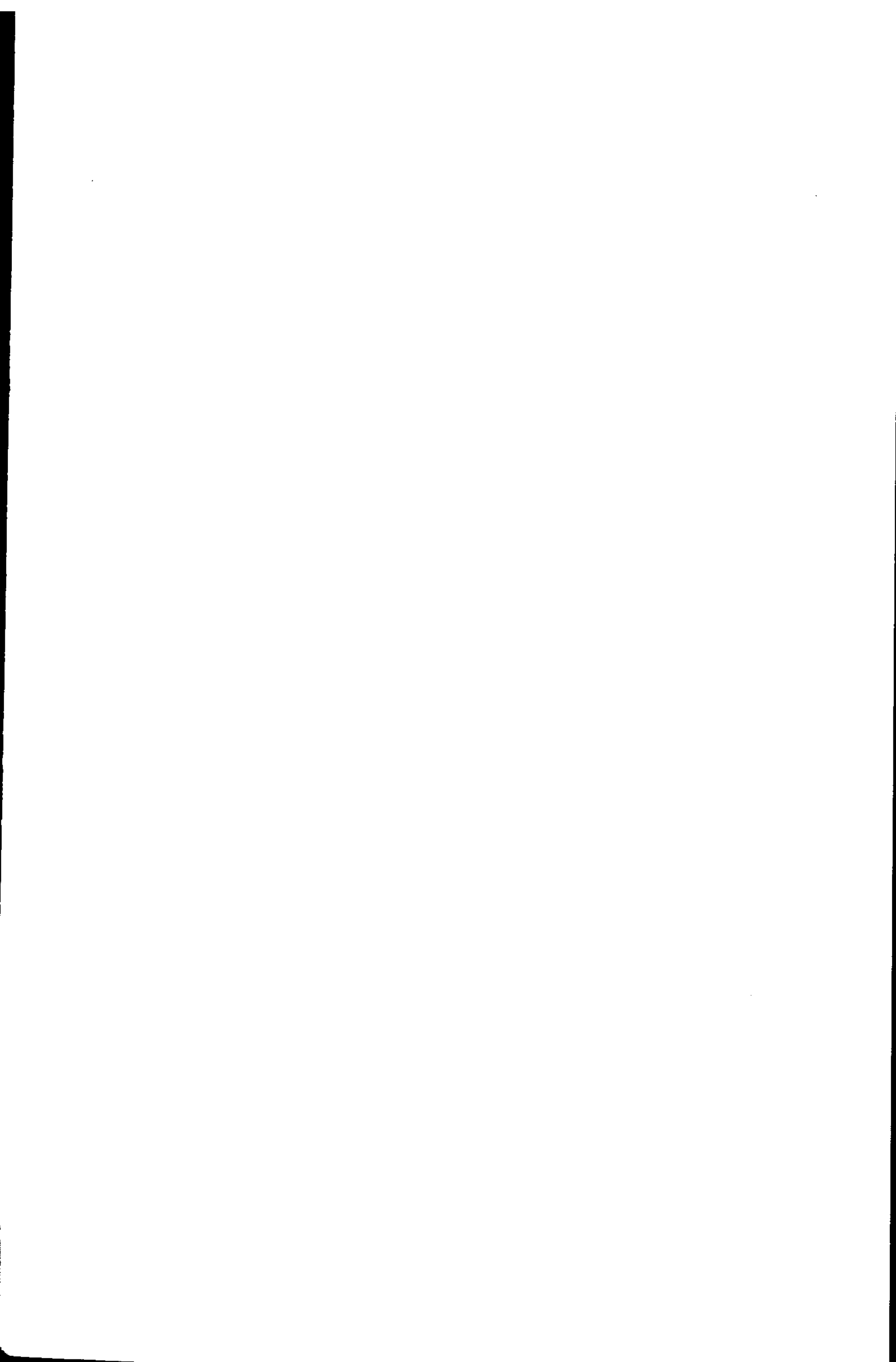
---

(١) يعني أبا الغلام .

(٢) قوموا بما يلزمه وباشروا إعداده . من الولاية . والولي : فعيل بمعنى فاعل من وليه إذا قام به . «وانظر المصباح : ولي» .

(٣) في مسنده : ١/ ٤١٦ . ورواه البيهقي في دلائله : ٦/ ٢٧٣ . وذكره في سبل الهدى : ١/ ٩٧ . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٨/ ٢٣١ ، وقال : فيه عطاء بن السائب وقد اختلط . قلت : اختلط عطاء بن السائب في آخر عمره . قال أحمد بن حنبل : ثقة ، رجل صالح ، من سمع منه قديما فسماعه صحيح ، ومن سمع منه حديثا فسماعه ليس بشيء . اهـ ، وقد روى هذا الحديث عن عطاء : حماد بن سلمة ، والجمهور على تصحيح روايته عنه ، وأن حمادا من الذين يؤخذ منهم حديث عطاء . «انظر الكواكب النيّرات لابن الكيّال : ٣١٩-٣٣٥» .

(٤) يزحف على بطنه . حبا الصغير يحبو حبوا : إذا درج على بطنه . «المصباح : حبا» .



رؤساء نصارى نجران يتوارثون الكتب التي ذكر فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام - رحمه الله - في سيرته :

وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره، ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها .

فخرج الرئيس الذي كان على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - يمشي فعثر، فقال له ابنه : تعس الأبعد! يريد النبي - صلى الله عليه وسلم - .

فقال له أبوه : لاتفعل، فإنه نبيٌّ، واسمه في الوضائع، يعني الكتب .

فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شدّ فكسر الخواتم، فوجد فيها ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم فحسن إسلامه وحجَّ، وهو الذي يقول :

إليك تعدو قلقاً وضينُها[1] ... مُعترضا في بطنها جنينُها

مخالفا دينَ النصارى دينُها[2]

الحقيقة القرآنية الرابعة : أن أحبار اليهود وعلماءهم على معرفة تامة بنبي الله محمد - صلى الله عليه وسلم -، لكن فريقا منهم

---

(١) قال ابن هشام : الوضين : الحزام، حزام الناقة .

(٢) السيرة : ١/ ٥٧٤ . وانظر سبل الهدى : ٦/ ٤٢٢، وفيه النظم منسوب إلى أبي علقمة بشر ابن معاوية، ابن عم الأسقف أبي حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، وأخوه من أمه، في قصة مقاربة .

يكتمون الحق وهم يعلمون، قال - تعالى - :

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ[١] وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦)﴾ [البقرة].

ففي هذه الآية الكريمة يخبر الله - سبحانه - أن علماء أهل الكتاب يعرفون صحة ما جاءهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما يعرف أحدهم ولده، بل هم يعرفون النبي - صلى الله عليه وسلم - كما يعرف أحدهم ولده، كما قال عبد الله بن سلام حين سأله عمر: أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟

قال: نعم، وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته، وإني لا أدري ما كان من أمه[٢].

وعن ابن جريج عن بعض من أسلم من أهل الكتاب قال: والله لنحن أعرف برسول الله منّا بأبنائنا، من أجل الصفة والنعت الذي نجده في كتابنا، أما أبناؤنا فلا ندري ما أحدث النساء[٣].

وقال الله - عز وجل - : ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ[٤] كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ[٥] مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ[٦] وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ[٧] عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا

---

(١) كذلك تكرر هذا المقطع من الآية في الآية العشرين من سورة الأنعام.

(٢) انظر ابن كثير: ١/ ٢٠٠. وقوله: (وإني لا أدري ما كان من أمه) يعني: ولده.

(٣) سبل الهدى والرشاد: ٣/ ٣٧٧.

(٤) أي: اليهود.

(٥) أي: القرآن الكريم.

(٦) أي: التوراة.

(٧) أي: يستنصرون.

﴿... جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا[1] كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ [البقرة].

والآية الكريمة تتحدث عن موقف اليهود من كتاب الله العزيز «القرآن الكريم» وعن موقفهم من النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - فإنه لما جاء اليهود القرآن الكريم الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وكانوا من قبل مجييء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون إنه سيبعث نبيٌّ في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم[2]. كما روى عاصم بن عمر[3] بن قتادة عن أشياخ من قومه:

(فينا، والله، وفيهم - يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة - يعني: ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم**﴾ .. الآية - قالوا: كنا قد علوناهم ظهرا[4] في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه، فنقتلكم معه[5] قتل عاد

---

(١) وهو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالوصف الذي عندهم في التوراة.

(٢) قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)**﴾ [**الفجر**:]. وهؤلاء عاد الأولى، وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعة الله مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه، وقد بعث فيهم رسوله «هودا» عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم ﴿**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ**﴾ [**الحاقة**]، وانظر تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤١.

(٣) في تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٩: عاصم بن عمرو عن قتادة. والصواب ما أثبتناه. وقتادة ابن النعمان الأنصاري الظفري، وكنية عاصم: أبو عمرو، المدني، وثقه ابن معين وابن سعد، وقال: كان له علم بالسير، توفي سنة ١٢٠هـ. «انظر خلاصة تذهيب التهذيب لصفي الدين الخزرجي: ١٨٣.

(٤) في تفسير ابن كثير ١/ ١٢٩: علوناهم قهرا دهرا.

(٥) أي: نقاتلكم بمعيته فنقتلكم قتل عاد وإرم.

وإرم، فلما بعث الله رسوله من قريش[1] واتبعناه كفروا به)[2].

وفي رواية أخرى لابن إسحاق[3] قال: وحدثني عاصم بن عمر ابن قتادة، عن رجال من قومه قالوا:

إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا، وكانت لاتزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به، وكفروا به. ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة:

﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ..** ﴾ الآية.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما -: (أن يهود كانوا يستفتحون

---

(١) من القبائل العربية العظيمة، وقريش هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وقريش قسمان: قريش البطاح، الذين ينزلون الشِّعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر، الذين ينزلون خارج الشِّعب، وقد أجمع العلماء بكلام العرب أن قريشا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة. «انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١-٢. ومعجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة: ٣/ ٩٤٧-٩٥٠».

(٢) السيرة النبوية: ١/ ٥٤١. تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٩، ومنه العبارات التفسيرية. وانظر السيرة ايضا: ١/ ٤٢٨ و٤٢٩.

(٣) السيرة النبوية: ١/ ٢١١.

جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا[1] كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ [البقرة].

والآية الكريمة تتحدث عن موقف اليهود من كتاب الله العزيز «القرآن الكريم» وعن موقفهم من النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - فإنه لما جاء اليهود القرآن الكريم الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وكانوا من قبل مجييء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون إنه سيبعث نبيٌّ في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم[2].

كما روى عاصم بن عمر[3] بن قتادة عن أشياخ من قومه:

(فينا، والله، وفيهم - يعني في الأنصار وفي اليهود الذين كانوا جيرانهم - نزلت هذه القصة - يعني: ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم**﴾ .. الآية - قالوا: كنا قد علوناهم ظهرا[4] في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون لنا: إن نبيا سيبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه، فنقتلكم معه[5] قتل عاد

---

(١) وهو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بالوصف الذي عندهم في التوراة.

(٢) قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)**﴾ [الفجر:]. وهؤلاء عاد الأولى، وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح، كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعة الله مكذبين لرسله، جاحدين لكتبه، وقد بعث فيهم رسوله «هودا» عليه السلام فكذبوه وخالفوه، فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم، وأهلكهم ﴿**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى**﴾ [الحاقة]، وانظر تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٤١.

(٣) في تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٩: عاصم بن عمرو عن قتادة. والصواب ما أثبتناه. وقتادة ابن النعمان الأنصاري الظفري، وكنية عاصم: أبو عمرو، المدني، وثقه ابن معين وابن سعد، وقال: كان له علم بالسير، توفي سنة ١٢٠هـ. «انظر خلاصة تذهيب التهذيب لصفي الدين الخزرجي: ١٨٣.

(٤) في تفسير ابن كثير ١/ ١٢٩: علوناهم قهرا دهرا.

(٥) أي: نقاتلكم بمعيته فنقتلكم قتل عاد وإرم.

على الأوس[1] والخزرج[2] برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل[3]، وبشر بن البراء[4] بن معرور أخو بني[5] سلمة: يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته.

فقال سلاّم بن مشكم - أخو بني النضير[6] -: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم. فأنزل الله - تعالى - الآية[7].

---

(١) بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة، بطن عظيم من الأزد، من القحطانية، موطنهم الأصلي بلاد اليمن فهاجروا إلى يثرب، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية. «انظر معجم القبائل: ١/ ٥٠».

(٢) بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة، بطن من الأزد، من القحطانية، قطنوا المدينة مع الأوس ونشبت بينهما حروب، أشهرها: بُعاث، وهو موضع قريب من المدينة. «انظر معجم القبائل: ١/ ٣٤٢».

(٣) ابن عمرو بن أوس، الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، المدني، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة وشهد بدرا والمشاهد، كان يُشبّه بابراهيم - عليه السلام - توفي سنة ١٨ هـ. «الخلاصة».

(٤) ابن معرور الخزرجي، من بني سلمة، وقد سوّده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليهم، شهد بدرا، واحدا، والخندق، ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٦١».

(٥) في تفسير ابن كثير «١/ ١٢٩»: وداود بن سلمة. والصواب: ما أثبتناه.

(٦) قبيلة من يهود خيبر من ولد هارون - عليه السلام - دخلوا في العرب على نسبهم. «المصباح المنير».

(٧) يعني قوله تعالى: ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا**﴾. السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥٤٧. تفسير ابن كثير: ١/ ١٢٩ وانظر سبل الهدى: ٣/ ٣٧٧.

يهودي من علمائهم وتجارهم يشهد بولادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم ولد

قالت أُمُّ المؤمنين عائشة[1] - رضي الله عنها - سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات، فلما كان ليلة وُلد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه. قال: أخطأت - والله - حيث كنت أكره، انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم: وُلد الليلة نبيُّ هذه الأمة: أحمد الآخر، فإن أخطأكم فبفلسطين، به شامة بين كتفيه سوداء صفراء، فيها شعرات متواترات.

فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروا لأهاليهم، فقيل لبعضهم: وُلد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام فسماه محمدا.

فالتقوا بعدُ من يومهم، فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: أعلمت أنه وُلد فينا مولود؟ قال: أبعد خبري أم قبله؟ قالوا: قبله، واسمه أحمد[2]. قال: فاذهبوا بنا إليه.

فخرجوا معه حتى دخلوا على أمّه، فأخرجته إليهم، فرأى الشّامة في ظهره، فغشي على اليهودي ثم أفاق. فقالوا: ويلك!

---

(١) عائشة بنت أبي بكر الصديق (عبد الله بن عثمان): من قريش، أفقه نساء المسلمين، وأعلمهن بالدين والأدب، تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - في السنة الثانية من الهجرة، جاءه الملك بصورتها، وقال له: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة، وكانت أحب نسائه إليه، تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهي بنت تسع سنين ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة. توفيت بالمدينة عام ٥٨هـ. انظر: مسند أحمد ٦/ ٤١, ٤٢, ١٦١. الأعلام: ٤/ ٥. سبل الهدى: ١١/ ١٦٤.

(٢) لم يفرقوا بين أحمد ومحمد من حيث المعنى فكلاهما صيغة مبالغة من الحمد.

مالك؟ قال : ذهبت النبوة من بني اسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم، وهذا - مكتوب - يقتلهم ويبز أخبارهم ، فازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟ أما والله ليسطونَّ بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد : ١/ ١٦٢-١٦٣ . سبل الهدى والرشاد : ١/ ٣٣٩ .

الفصل الثالث

فيمن اعترف بنبوة محمد - ﷺ - فآمن أو كفر من علماء اليهود وزعمائهم

إن يهود من أكثر الناس معرفة برسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنهم أهل الكتاب الأول وفيه نعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذكر مهاجره ومع ذلك فهم أكثر الناس صدودا عن الحق، وقليل منهم مؤمنون.

فهذا سلمة بن سلامة بن وقش[1] - من أصحاب بدر رضي الله عنهم - يقول: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، خرج علينا يوما من بيته[2] حتى وقف على[3] بني عبد الأشهل - قال سلمة: وأنا يومئذ من أحدث مَنْ فيه سنًّا، عليّ بُردٌ لي مضطجع فيها بفناء أهلي - فذكر القيامة، والبعث والحساب، والميزان، والجنة، والنار.

قال: فقال ذلك لقوم أهل شرك، أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا: أن

(١) ضبطه الشيخ محمد طاهر الهندي في كتابه المغني في ضبط الأسماء بسكون القاف وضبطه محقق كتاب دلائل النبوة في «٣/ ١٠٦» بفتح القاف. وسلمة هذا - رضي الله عنه - هو الذي غضب من سؤال الأعرابيِّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -: إن كنت رسول الله كما تزعم فحدثني بما في بطن ناقتي هذه. فقال له سلمة: وقعتَ «أي نزوت» على ناقتك فحملت منك. فكره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما قال سلمة حين سمعه أفحش. «الدلائل: ٣/ ١٠٦».

(٢) في مسند أحمد: قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - بيسير.

(٣) في المسند: فوقف على مجلس عبد الأشهل.

الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟

قال: نعم، والذي يُحلف به، ولودَّ أن له بحظه[1] من تلك النار أعظم تنور في الدار[2] يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطينونه عليه[3]، بأن ينجو من تلك النار غدا؛ فقالوا له: ويحك يا فلان! فما آية ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوث من نحو هذه البلاد - وأشار بيده إلى مكة واليمن - فقالوا: ومتى تراه؟ قال: فنظر إليَّ وأنا من أحدثهم سنا[4] فقال: إن يستنفد[5] هذا الغلام عمره يدركه.

قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو حيٌّ بين أظهرنا فآمنا به، وكفر به بغيا وحسدا. قال: فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى، ولكن ليس به[6].

ومثل إنكار هذا اليهودي وجحوده الحق إنكار وجحود بني قريظة، فإن رجلا من يهود من أهل الشام، يقال له: ابن الهيَّبان قدم المدينة على بني قريظة قبيل الإسلام بسنين فحلَّ بين أظهرهم، قال شيخ منهم: لا والله ما رأينا رجلا قط لا يُصلي الخمس[7] أفضل

---

(١) في الدلائل: لوددت أن حظي.

(٢) في المسند: في الدنيا. وفي الدلائل: أن توقدوا أعظم تنور في داركم.

(٣) في الدلائل: فتحمونه، ثم تقذفوني فيه، ثم تطينون عليّ، وأني أنجو من النار غدا.

(٤) في الدلائل: فرمى بطرفه، فرآني وأنا مضطجع بفناء باب أهلي وأنا أحدث القوم.

(٥) بكسر الفاء ودال مهملة: أي يستكمل.

(٦) سيرة ابن هشام: ١/ ٢١٢. مسند أحمد: ٣/ ٤٦٧. دلائل البيهقي: ٢/ ٧٨ و٧٩. سبل الهدى والرشاد: ١/ ١١٣، وقال: رواه ابن اسحاق، والبخاري في التاريخ، وصححه الحاكم.

(٧) أي غير مسلم.

منه، فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له: اخرج يا ابن الهيّبان فاستسق لنا؛ فيقول: لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة؛ فنقول له: كم؟ فيقول: صاعا من تمر، أو مُدّين من شعير. قال: فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرّتنا فيستسقي الله لنا. فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمرَّ السحاب ونُسقى، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث.

قال: ثم حضرته الوفاة عندنا، فلما عرف أنه ميّت قال: يامعشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير[1] إلى أرض البؤس والجوع[2]؟

قال: قلنا: إنك أعلم.

قال: فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكَّفُ[3] خروج نبي قد أظل[4] زمانه؛ وهذه البلدة مهاجره، فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه، وقد أظلكم زمانه، فلا تُسْبَقُنّ إليه يا معشر يهود؛ فإنه يُبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه.

فلما بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاصر بني قريظة[5] قال ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد - نفر من

(١) أي أرض الشام، وكانت ولاتزال أرض نعم وخيرات.

(٢) أي يثرب «المدينة».

(٣) أتوكف: انتظر.

(٤) أظل: أشرف وقرب.

(٥) وكان ذلك سنة خمس في أعقاب غزوة الخندق «الأحزاب»، فقد أتى جبريل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أوقد وضعت السلاح يارسول الله؟ قال: نعم. فقال جبريل: فما وضعت الملائكة السلاح بعد، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزلٌ بهم. وحاصرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسا وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. «سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٣٣ وما بعدها.

بني هدل، إخوة بني قريظة[1]، كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام - : يابني قريظة، والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيَّبان.

قالوا: ليس به.

قالوا: بلى والله، إنه لهو بصفته. فنزل هؤلاء الفتية الثلاثة - وكانوا شبابا أحداثا - وأسلموا، وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[2].

(١) قال ابن اسحاق: ليسوا من بني قريظة ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عم القوم. «سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٣٨».

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٢١٣-٢١٤. وانظر: ٢/ ٢٨٣. وطبقات ابن سعد: ١/ ١٦٠.

شهادة عبد الله بن صوريا الحبر اليهودي بمعرفته برسول الله صلى الله عليه وسلم وبحسد اليهود له

عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيت المدراس فقال: أخرجوا إليَّ أعلمكم، فقالوا: عبد الله بن صوريا، فخلا به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فناشده بدينه وبما أنعم الله به عليهم وأطعمهم من المن والسلوى، وظللهم به من الغمام: أتعلم أني رسول الله؟ قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمبيّن في التوراة، ولكنهم حسدوك.

قال: فما يمنعك أنت؟

قال: أكره خلاف قومي، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم[1].

---

(١) طبقات ابن سعد: ١/ ١٦٤.

عمرو بن سعدى اليهودي يحاور قومه في أمر رسول الله محمد - ﷺ - ويستشهدهم على صدق نبوته

أقبل عمرو بن سعدى وطاف بمنازل بني النضير بعد أن خرجوا من المدينة[١]، فرأى خرابا، ففكر ثم رجع إلى بني قريظة فوجدهم في الكنيسة لصلاتهم، فنفخ في بوقهم فاجتمعوا.

فقال الزبير بن باطا القرظي: يا أبا سعيد، أين كنت منذ اليوم لم أرك[٢]؟!.

قال: رأيت اليوم عبرا عُبِّرنا بها، رأيت دار إخواننا خالية بعد ذلك العز، والجلد، والشرف الفاضل، والعقل البارع، قد تركوا أموالهم، وملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذل، ولا والتوراة ما سُلِّط هذا على قوم قط ولله بهم حاجة، وقد أوقع - قبل ذلك - بابن الأشرف بياتا في بيته آمنا[٣]، وأوقع بابن سنينة سيد يهود، وأنجدهم وأجلدهم، وأوقع ببني قينقاع، فأجلاهم وهم أهل جد يهود، وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة، فحصرهم فلم يخرج إنسان رأسه حتى سباهم، فكُلِّم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب.

ياقوم، لقد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمدا، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي، وقد بشَّرنا به علماؤنا، آخرهم ابن الهيَّبان أبو عمير، وابن جوّاس[٤]، وهما أعلم يهود، جاءانا من بيت المقدس

---

(١) حيث أجلاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها بسبب غدرهم وخيانتهم.

(٢) وكان عمرو بن سعدى يتأله في اليهودية، وكان لايغادر الكنيسة. «سبل الهدى».

(٣) في دلائل البيهقي «٣/ ٣٦١»: .. بابن الأشرف ذي عزهم، ثم بيّته في بيته آمنا.

(٤) في دلائل البيهقي «٣/ ٣٦٢»: .. وابن حراش.

يتوكفان قدومه، ثم أمرانا باتباعه، وأن نقرئه منهما السلام، ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا هذه. فأُسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم، فأعاد الكلام أو نحوه، وخوّفهم بالحرب والسِّباء والجلاء.

فقال الزبير بن باطا: والتوراة، قد قرأت صفته في التوراة[1] التي أُنزلت على موسى، ليس في المثاني التي أحدثنا.

فقال له كعب بن أسيد: ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه؟

قال: أنت يا كعب.

قال كعب: ولِمَ؟، والتوراة، ما حُلت بينك وبينه قطُّ.

قال الزبير: بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا، فإن اتبعته اتبعناه، وإن أبيت أبينا.

فأقبل عمرو بن سعدى على كعب، فقال: أما والتوراة التي أُنزلت على موسى يوم طور سينا إنه للعز والشرف في الدنيا، وإنه لعلى منهاج موسى، وينزل معه وأمته غدا في الجنة. قال كعب: نقيم على عهدنا وعقدنا فلا يخفر لنا محمد ذمة، وننظر ما يصنع حُيَيٌّ، فقد أُخرج إخراجَ ذُلّ وصغار، فلا أراه يقر حتى يغزو محمدا، فإن ظُفر بمحمد فهو ما أردنا، وأقمنا على ديننا، وإن ظُفر بحيي فما في العيش خير، وتحوّلنا من جواره.

قال عمرو بن سعدى: ولمَ نؤخر الأمر وهو مقبل؟

قال كعب: ما على هذا فوق، متى أردت هذا من محمد أجابني إليه.

---

(١) في الدلائل: «في كتاب باطا التوراة».

قال عمرو: والتوراة، إن عليه لغوثا، إذا سار إلينا محمد فتخبأنا في حصوننا هذه التي قد خدعتنا، فلا نفارق حصوننا حتى ننزل على حكمه، فيضرب أعناقنا.

قال كعب بن أسد: ما عندي في أمره إلا ما قلت، ما تطيب نفسي أن أصير تابعا لقول هذا الإسرائيلي، ولا يعرف لي فضل النبوة ولا قدر الفعال.

قال عمرو بن سعدى: بل لعمري ليعرفن ذلك.

فبينما هم على ذلك لم يروعهم إلا مقدمة النبي - صلى الله عليه وسلم - قد حلت بساحتهم.

فقال: هذا الذي قلت لك.

وذلك أنهم نقضوا عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحاربوه في وقعة الخندق[1].

---

(١) سبل الهدى: ٤/ ٣٢٦-٣٢٧. دلائل النبوة للبيهقي: ٣/ ٣٦١-٣٦٣.



حيي بن أخطب وأخوه أبو ياسر سيّدا يهود يشهدان بمعرفتهما برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ويخالفانه

قـالت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب[1] - رضي الله عنها -: لم يكن أحد من ولد أبي وعمي - أبي ياسر - أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه.

فلما قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قباء - قرية بني عمرو بن عوف - غدا إليه أبي: حيي بن أخطب، وعمي: أبو ياسر ابن أخطب، مغلّسين[2]، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا بأمر أبي كبشة كالّيْن، كسلانين، ساقطين، يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إليَّ واحد منهما، فسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟

قال: نعم.

قال: أتعرفه بنعته وصفته؟

قال: نعم، والله.

---

(١) الخزرجية النضيرية، كان أبوها سيد بني النضير من ذرية نبي الله ورسوله هارون بن عمران أخي موسى - عليهما السلام -، أفاء الله بها على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - يوم خيبر، فتزوجها وجعل عتقها مهرها، كان بعينها خضرة، فقال لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما بعينك؟ فقالت: قلت لزوجي «أي كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وكان زوجها قبل السبي»: إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمرا وقع في حجري، فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب؟! ولدها مائة نبي ومائة ملك ثم سيّرها الله -تعالى- أمة لنبيه - صلى الله عليه وسلم -. توفيت في رمضان سنة ٥٠ ودفنت بالبقيع. «انظر سبل الهدى: ١١/ ٢١٢-٢١٨». وانظر ترجمتها ص: ٥١، (١٠).

(٢) الغلس - بفتحتين -: ظلام آخر الليل، وغلّس القوم تغليسا: خرجوا بغلس. «المصباح: غلس».

قال: فما في نفسك منه؟

قال حيي: عداوته - والله - ما بقيت[1].

وفي رواية: أن أبا ياسر بن أخطب حين قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ذهب إليه فسمع منه وحادثه، ثم رجع إلى قومه فقال: ياقوم أطيعوني، فإن الله - تعالى - قد جاءكم بالذي تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه.

فانطلق اخوه: حيي بن أخطب - وهو يومئذ سيد يهود، وهما من بني النضير -، فجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه، ثم رجع إلى قومه - وكان فيهم مطاعا - فقال: أتيت من عند رجل - والله - لا أزال له عدوا أبدا.

فقال له أخوه أبو ياسر: يا ابن أمّ أطعني في هذا الأمر واعصني فيما شئت بعده، لاتهلك.

فقال: والله لا أطيعك.

فاستحوذ عليه الشيطان، وتبعه قومه على رأيه[2].

---

(١) سبل الهدى: ٣/ ٣٧٧-٣٧٨. دلائل البيهقي: ٢/ ٥٣٣.

(٢) سبل الهدى: ٣/ ٣٧٧-٣٧٨. دلائل البيهقي: ٢/ ٥٣٢-٥٣٣.

سيد يهود كعب بن أسد يدعو قومه بني قريظة إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه لكنهم يأبون ذلك فيهلكون

قال كعب بن أسد لقومه - لما أيقنوا بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير منصرف عنهم حتى يناجزهم - : يامعشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم.

قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لانفارق حكم التوراة أبدا، ولانستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر - فلعمري - لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة.

قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونُحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المسخ.

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما[1].

(١) السيرة: ٢٣٥-٢٣٦.

سيد يهود كعب بن أسد يدعو قومه بني قريظة إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه لكنهم يأبون ذلك فيهلكون

قال كعب بن أسد لقومه - لما أيقنوا بأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غير منصرف عنهم حتى يناجزهم - : يامعشر يهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا، فخذوا أيها شئتم.

قالوا: وما هي؟

قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل، وأنه للذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم.

قالوا: لانفارق حكم التوراة أبدا، ولانستبدل به غيره.

قال: فإذا أبيتم عليَّ هذه، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه، وإن نظهر - فلعمري - لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: نقتل هؤلاء المساكين؟! فما خير العيش بعدهم؟

قال: فإن أبيتم عليَّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرّة.

قالوا: نفسد سبتنا علينا، ونُحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت، فأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المسخ.

قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما[1].

(١) السيرة: ٢٣٥-٢٣٦.

اليهودي الزبير بن باطا القرظي يسوقه عناده وكبره إلى القتل

وإنك لتصاب بالدهشة والغرابة عندما يبلغ ببعض اليهود الكبر مبلغا بحيث تعرض عليه حياة العزة والكرامة فيرفضها ويطلب الموت على الكفر والذل واللحوق بأمثاله من المعاندين.

فهذا الزبير[1] بن باطا القرظي يأتيه ثابت بن قيس بن الشمّاس أخو بلحارث بن الخزرج خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم - بعد أن حكم سعد بن معاذ في بني قريظة ما حكم[2] وأنفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه فيهم - فقال: يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني؟

قال: وهل يجهل مثلي مثلك؟

قال: إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي[3].

قال: إن الكريم يجزي الكريم.

ثم أتى ثابت بن قيس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة؛ ويكنى أبا عبد الرحمن.

(٢) من قتل مقاتلتهم وسبي نسائهم وذراريهم.

(٣) كان الزبير بن باطا قد منَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية، وذلك يوم بُعاث، أخذه فجزّ ناصيته، ثم خلّى سبيله. «السيرة: ٢/ ٢٤٢». وبعاث موضع من أعمال قريظة التقى فيه قريظة والنضير والأوس مجتمعين ضد الخزرج، وانهزمت الخزرج ونجّى يومئذ الزبير بن إياس بن باطا القرظي نجّى ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي. وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الأوس والخزرج ثم جاء الإسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصر الإسلام وأهله، وكفى الله المؤمنين القتال. «انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١/ ٦٨٠ و٦٨١».

فقال: يارسول الله، إنه قد كانت للزبير عليّ منّة، وقد أحببت أن أجزيه بها، فهب لي دمه.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هو لك.

فأتاه فقال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد وهب لي دمك، فهو لك.

قال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد، فما يصنع بالحياة؟

فأتى ثابتٌ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: بأبي أنت وأمي يارسول الله، هب لي امرأته وولده.

قال: هم لك.

فأتاه فقال: قد وهب لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهلك وولدك، فهم لك.

قال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم، فما بقاؤهم على ذلك؟

فأتى ثابتٌ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يارسول الله، ماله.

قال: هو لك.

فأتاه ثابتٌ فقال: قد أعطاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مالك، فهو لك.

قال: أي ثابت، ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية[1] يتراءى فيها عذارى الحي: كعب بن أسد؟

قال: قُتل.

---

(١) في الكامل «٢/٢١٨»: صقلية.

قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟

قال: قتل.

قال: فما فعل مقدّمتنا إذا شددنا، وحاميتنا إذا فررنا، عزّال بن سموأل؟

قال: قتل.

قال: فما فعل المجلسان؟ «يعني بني كعب بن قريظة، وبني عمرو بن قريظة».

قال: ذهبوا، قتلوا.

قال: فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح حتى ألقى الأحبة[1].

فقدّمه ثابتٌ، فضُربَ عنقه[2].

ولا تظن أن موقف الزبير هذا مبني على قناعة وصدق في المبدأ بل هو العناد والكبر والصد عن الحق على علم، لقد (كان الزبير بن باطا - وكان أعلم اليهود - يقول: إني وجدت سفرا كان أبي يختمه عليَّ فيه ذكر أحمد: نبيٌّ يخرج بأرض القرظ، صفته كذا وكذا، فتحدث به الزبير بعد أبيه والنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يُبعث، فما هو إلا أن سمع بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قد خرج بمكة

---

(١) فلما بلغ أبابكر الصديق قوله: «ألقى الأحبة» قال: يلقاهم - والله - في نار جهنم خالدا فيها مخلدا. «السيرة».

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٤٢ و٢٤٣. الكامل في التاريخ: ٢/ ٢١٧ و٢١٨. المغازي للواقدي: ٢/ ٥١٨ - ٥٢٠، وفيه أن الزبير بن العوام هو الذي ضرب عنقه.

حتى عمد إلى ذلك السِّفر فمحاه وكتم شأن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقال: ليس به)[1].

لكن من أحبار اليهود وعلمائهم من غلب عليه حبُّ الحق فأعلن إيمانه بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واتبعه بصدق وإخلاص ولم يخف في الله لومة لائم فكانوا من السعداء - رضي الله عنهم - نذكر منهم:

أولا: عبد الله بن سلام[2]، وكان حبرا عالما:

قال: لما سمعت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكّف[3] له، فكنت مُسراً لذلك، صامتا عليه، حتى قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، فلما نزل بقباء، في بني عمرو بن عوف، أقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها، وعمّتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كبّرت؛ فقالت لي عمّتي حين سمعت تكبيري: والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت.

قال: أي عمّة، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه، بُعث بما بُعث به.

---

(١) طبقات ابن سعد: ١/ ١٥٩ . وما سبق من حوار بينه وبين عمرو بن سعدى يؤيد هذا أيضا.

(٢) ابن الحارث الاسرائيلي ثم الأنصاري، أبو يوسف، من ذرية سيدنا يوسف بن يعقوب - عليه السلام -، كان اسمه الحصين فغيره النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان عالم أهل الكتاب. «سبل الهدى والرشاد: ٣/ ٣٧٩»، توفي بالمدينة سنة ٤٣هـ. «الأعلام ٤/ ٢٢٣» وسلام، هو بتخفيف اللام، ولا يوجد مَن اسمه سلام بالتخفيف من المسلمين لأن السلام من اسماء الله، فيقال: عبد السلام. ويقَال: سلاّم «بالتشديد» وهو كثير، وإنما «سلام» بالتخفيف في اليهود. «نقله السهيلي محقق سيرة ابن هشام: ١/ ٥١٦».

(٣) ننتظره.

فقالت: أي ابن أخي، أهو النبيّ الذي كنا نُخبرُ أنه يُبعث مع نَفَس[1] الساعة؟

قال: نعم.

فقالت: فذاك إذاً[2].

قال عبد الله بن سلام[3]: ثم خرجت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم فأسلمت، ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

قال: وكتمت إسلامي من يهود، ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت له: يارسول الله، إن يهود قومٌ بُهْت، وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، وتُغَيِّبَني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني.

---

(١) بفتح النون والفاء، أي يبعث في وقت قريب منها يحسُّ فيها بنفسها كما يحسُّ بنفس الانسان إذا قرب المرء منه، يعني أنه يبعث في وقت بانت أشراطها فيه وظهرت علاماتها. «سبل الهدي: ٣/ ٣٨١».

(٢) وفي سبل الهدى والرشاد «٣/ ٣٧٩»: قال: فخرجت إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما تبينت وجهه عرفت انه ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء سمعته يقول: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

(٣) وعند البيهقي عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بقدوم النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتى النبي فقال: إني سائلك عن خلال لايعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ وما هذا السواد الذي في القمر؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفا. قال: جبريل؟! . قال: نعم. قال: عدو اليهود من الملائكة. ثم قرأ: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** (٩٧)﴾ [**البقرة**]. قال: أما أول أشراط الساعة فنار تخرج على الناس من المشرق تسوقهم إلى المغرب. وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كبد حوت. وأما الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد. وأما السواد الذي في القمر: فانهما كانا شمسين، قال الله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ**﴾ [**الإسراء**: ١٢]، فالسواد الذي رأيت هو المحو. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله. «سبل الهدى والرشاد: ٣/ ٣٧٩».

قال: فأدخلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بعض بيوته، ودخلوا عليه، فكلموه وساءلوه، ثم قال لهم: أيُّ رجل الحصين بن سلام فيكم؟

قالوا: سيّدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالِمُنا.

قال عبد الله بن سلام: فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم: يامعشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا: كذبت، ثم وقعوا بي.

قال: فقلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت[1]، أهل غدر وكذب وفجور؟!

قال عبد الله بن سلام: فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث، فحسن إسلامها[2].

ثانيا: مُخَيْريق النَّضْري[3] الإسرائيلي:

وكان حبرا عالما، غنيا كثير الأموال من النخل، وكان يعرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصفته، وما يجد في علمه،

---

(١) جمع بهوت، مثل صبور وصُبُر، ثم سكّن تخفيفا، «سبل الهدى: ٣/ ٣٨١» وفي القاموس: البُهت: الباطل الذي يُتَحيّر من بطلانه.

(٢) السيرة: ١/ ٥١٦-٥١٧. سبل الهدى والرشاد: ٣/ ٣٧٩. دلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٥٢٧-٥٣٢ و٦/ ٢٦٠-٢٦٢. صحيح البخاري: «باب مسائل عبد الله بن سلام» من «كتاب مناقب الأنصار».

(٣) من بني النضر، ويقال: إنه من بني قينقاع، ويقال: من بني القيطون. «الإصابة؛ الأعلام».

فلم يزل على دينه، حتى إذا كان يوم أحد[1] - وكان يوم سبت - قال: يامعشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق.

قالوا: إن اليوم يوم السبت؛ قال: لا سبت لكم. ثم أخذ سلاحه، فخرج حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأُحد، وعهد إلى من وراءه من قومه: إن قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله. فلمَّا اقتتل الناس قاتل حتى قُتل.

فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: **مخيريق خير يهود**[2].

وقبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمواله، فعامة صدقات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة منها[3].

ثالثا: زيد بن سَعْنة[4] الحبر الإسرائيلي[5]:

قال عبد الله بن سلام الحبر: إن الله - عز وجل - لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في

---

(١) غزوة أحد كانت بين كفار مكة وبين المسلمين عند جبل أحد بالمدينة المنورة في شوال سنة ثلاث من الهجرة.

(٢) وفي الإصابة «٣/ ٣٩٣»: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: مخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة.

(٣) سيرة ابن هشام: ١/ ٥١٨ و٢/ ٨٨-٨٩. الإصابة في تمييز الصحابة ٣/ ٣٩٣. الأعلام: ٨/ ٧٥.

(٤) اختلف في سعنة، فقيل: بالنون، وقيل: بالتحتانية، قال ابن عبد البر: بالنون أكثر. «الاستيعاب لابن عبد البر: ١/ ٥٦٣. الإصابة لابن حجر: ١/ ٥٦٦».

(٥) قال الحافظ ابن حجر في الاصابة: روى قصة إسلامه الطبراني وابن حبان والحاكم وابو الشيخ في كتاب أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم - وغيرهم. اهـ قلت: وأيضا البيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٢٧٨-٢٨١، وهي هذه.

المستدير ثم رماني ببصره، فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أسمع، وتصنع ما أرى، أُكفف يدك عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك.

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسّم، ثم قال: **ياعمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا: أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، إذهب يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته**(1).

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعا من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة ياعمر؟

فقال: أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أزيدك مكان ما روعتك.

فقلت: أتعرفني يا عمر؟

قال: لا، فمن أنت؟

قلت: أنا زيد بن سعنة.

قال: الحَبْر؟

قلت: الحَبْر.

قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما فعلت، وقلت له ما قلت؟

قلت: ياعمر، إنه لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين نظرت إليه إلا

---

(1) أي عوضاً عما أخفته.

اثنتين لم اخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولاتزيده شدة الجهل إلا حلما، فقد خبرتهما، فأشهدك ياعمر أني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبيا، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرهم مالا - صدقة على أمة محمد - صلى الله عليه وسلم -.

فقال لي عمر: أو على بعضهم[1].

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وآمن به وصدقه وتابعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر، رحم الله زيدا[2].

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة «٦/ ٢٨٠-٢٨١» في هذا المعنى عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: أن يهوديا كان يقال له: فلان، حبرٌ كان له على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دنانير فتقاضاها النبي - صلى الله عليه وسلم -.

فقال له: **يايهودي، ما عندي ما أعطيك.**

قال: فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني.

فقال - صلى الله عليه وسلم -: إذاً أجْلسُ معك. فجلس معه، فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة، وكان أصحاب رسول الله - صلى الله

---

(١) في المستدرك «٣/ ٧٠١»: فإنك لاتسعهم. قلت: أو على بعضهم.

(٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وهو من غرر الحديث. اهـ. والحديث لفظ البيهقي في دلائل النبوة: ٦/ ٢٧٩-٢٨٠.

عليه وسلم - يتهددونه ويتوغدونه ففطن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **ما الذي تصنعونه به؟!**

فقالوا : يارسول الله، يهودي يحبسك؟!

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : **(منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره)**.

فلما ترجل النهار قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وشطر مالي في سبيل الله، أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة : محمد بن عبد الله، مولده بمكة، ومهاجره بطيبة، وملكه بالشام، ليس بفظ، ولاغليظ، ولاسخّاب في الأسواق، ولامتزين بالفحش ولاقول الخنا. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله. وكان اليهودي كثير المال.

رابعا: حَبْر من الأحبار يُسلم مع جماعة من اليهود لسماعهم سورة يوسف من النبي - صلى الله عليه وسلم - :

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن حبرا من أحبار اليهود دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم، وكان قارئا للتوراة فوافقه وهو يقرأ سورة يوسف كما أُنزلت على موسى في التوراة فقال له الحبر : يا محمد، من علمكها؟

قال : **الله علّمنيها**.

فتعجب الحبر لما سمع منه فرجع إلى اليهود، فقال لهم : أتعلمون؟! والله، إن محمدا ليقرأ القرآن كما أنزل في التوراة.

فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه، فعرفوه بالصفة، ونظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه، فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف، فتعجبوا منه، وقالوا: يا محمد، من علّمكها؟

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(علمنيها الله)**.

ونزل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف]. يقول لمن سأل عن أمرهم، وأراد أن يعلم: علّمتهم. فأسلم القوم عند ذلك[1].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٦/ ٢٧٦. وانظر سبل الهدى: ٣/ ٣٧٨.

نفر من يهود الجن[1] يستمعون إلى النبي محمد - ﷺ - يقرأ القرآن فيؤمنوا ويرجعوا إلى قومهم منذرين

وإن تعجب فعجبٌ أمر أولئك الجنِّ من اليهود الذين قدّر الله - تعالى - لهم أن يستمعوا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يتلو في صلاته آياً من الذّكر الحكيم فيندهشوا لما يسمعون ويتعجبوا منه لأنه من جنس الكلام المنزل في التوراة على موسى هدىً ونورا ورحمة وسرعان ما يؤمنون بالتالي - صلى الله عليه وسلم - وبالمتلو «القرآن الكريم»، ولم يكتفوا بذلك بل إنهم رجعوا إلى قومهم مبشِّرين بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومنذرين مَنْ لم يؤمن من قومهم بهذا النبي وبهذا الكتاب العزيز.

قال الله - تعالى - مخبرا عنهم:

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ[2] نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ[3] مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ

---

(١) قال الحسن البصري: الجنُّ ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون، وهم شركاء في الثواب والعقاب.. اهـ «تفسير القرطبي: ١٩/ ٥».

(٢) أي وجّهنا إليك وبعثنا. قال القرطبي - يرحمه الله -: هذا توبيخ لمشركي قريش؛ أي إن الجنَّ سمعوا القرآن فآمنوا به وعلموا أنه من عند الله، وأنتم معرضون مصرون على الكفر. «الجامع لأحكام القرآن: ١٦/ ٢١٠». قلت: هذا حين نزول الآيات ثم صارت - بعد أن بلغت الدعوة الإسلامية جميع أصحاب الأديان والملل والنحل والفرق والطوائف - توبيخا لكل مشرك وكافر إلى يوم القيامة.

(٣) قال عطاء: كانوا يهودا فأسلموا، ولذلك قالوا: ﴿**أنزل من بعد موسى**﴾. وقال ابن عباس: إن الجنَّ لم تكن سمعت بأمر عيسى، فلذلك قالت: ﴿**أنزل من بعد موسى**﴾. «القرطبي: ١٦/ ٢١٧». وقال ابن كثير: .. ولم يذكروا عيسى، لأن عيسى - عليه السلام - أُنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم، وهو في الحقيقة=

مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣٢) ﴾ [الأحقاف].

كما أنزل الله - عز وجل - بذلك سورة كاملة أسماها «سورة الجن» منها قوله تعالى:

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا[١] مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) ﴾ [الجن].

ومنها قوله تعالى:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ[٢] فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا[٣] (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ[٤] فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا[٥] (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾ [الجن].

=كالمتمم لشريعة التوراة، فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا: ﴿ أنزل من بعد موسى ﴾، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - بقصة نزول جبريل عليه - عليه الصلاة والسلام - أول مرة، فقال: بخ بخ، هذا الناموس الذي كان يأتي موسى، يا ليتني أكون فيها جذعا. «تفسير ابن كثير: ٤/ ١٨٣». وقال السهيلي في روضه الأنف «١/ ٢٣٦»: وفي الحديث: إنهم كانوا من جن نصيبين وفي التفسير: إنهم كانوا يهودا، ولذلك قالوا: من بعد موسى، ولم يقولوا من بعد عيسى. ذكره ابن سلام. اهـ.

(١) وردت في معناها أقوال لأهل العلم، أكثرها متفقة في مؤدّاها من ذلك ما قاله الضحّاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: جدُّ الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه. «ابن كثير: ٤/ ٤٥٧، القرطبي: ١٩/ ٨».

(٢) يفتخرون بذلك، وهو مفخر لهم، وشرف رفيع، وصفة حسنة. «ابن كثير: ٤/ ٤٥٩».

(٣) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: فلا يخاف أن ينقص من حسناته، أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى: ﴿ فلا يخاف ظلما ولا هضما ﴾ [طه: ١١٢] «ابن كثير: ٤/ ٤٥٩».

(٤) القاسط: هو الجائر عن الحق الناكب عنه، بخلاف المقسط فإنه العادل. «ابن كثير».

(٥) أي طلبوا لأنفسهم النجاة. «ابن كثير».

روى الإمام البخاري[1] - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (انطلق النبي - صلى الله عليه وسلم - في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء[2]، وأُرسلت عليهم الشُّهُب[3]، فرجعت الشَّياطين إلى قومهم، فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشُّهب. قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السَّماء إلا شيءٌ حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك الذين توجّهوا[4] إلى

---

(١) صحيحه: كتاب الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر: ٢/ ٢٥٣، وكتاب التفسير سورة ﴿قل أوحي إليَّ﴾: ٨/ ٦٦٩. وانظر روايات أخرى في سبل الهدى: ٢/ ٤٤٣-٤٥٠، فتح الباري: ٨/ ٦٦٩-٦٧٥، تفسير ابن كثير: ٤/ ١٧٥-١٨٤ و١٨٥، الروض الأنف: ١/ ٢٣٦ و٢/ ١٨٠، سيرة ابن هشام: ١/ ٤٢١-٤٢٢، تفسير القرطبي: ١٦/ ٢١٠-٢١٧ و١٩/ ١-٥. وسنن الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب «ومن سورة الجن»: ٥/ ٤٢٦-٤٢٨. وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: ١/ ٣٣١.

(٢) وعند الترمذي قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كان الجن يصعدون إلى السماء يسمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا، فأما الكلمة فتكون حقّا، وأما مازاد فيكون باطلا، فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مُنعوا مقاعدهم، ولم تكن النجوم يُرمى بها قبل ذلك.. «٥/ ٤٢٧ و٤٢٨»، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) كان من حفظ الله تعالى للقرآن الكريم أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة، فيلتبس الأمر ويختلط، ولا يُدرى من الصادق، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه، ورحمته بعباده، وحفظه لكتابه العزيز. «ابن كثير: ٤/ ٤٥٨».

(٤) قال السهيلي في روضه «١/ ٢٣٦»: وكانوا سبعة قد ذُكروا بأسمائهم في التفاسير والمسندات، وهم: شاصر، وماصر، ومنشي، ولاشي، والأحقاب.. قال: ووجدت في خبر...: بينما عمر بن عبد العزيز يمشي في أرض فلاة فإذا حيّة ميتة فكفّنها بفضلة من ردائه، ودفنها، فإذا قائل يقول: يا سُرّق، أشهد لسمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لك: ستموت بأرض فلاة، فيكفّنك ويدفنك رجل صالح، فقال: من أنت، يرحمك الله؟ فقال: رجل من الجن الذين تسمّعوا القرآن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يبق منهم إلا أنا وسُرّق، وهذا سُرّق قد مات. قال السهيلي: وذكر ابن سلاّم عن ابن مسعود أنه كان في نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمشون فرُفع لهم إعصار، ثم جاء إعصار أعظم منه، ثم انقشع فإذا حية قتيل، فعمد رجل منا إلى ردائه فشقه وكفّن الحية ببعضه ودفنها، فلما جنّ الليل إذا امرأتان تتساءلان: أيُّكم دفن=

النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ[1] وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلمَّا سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا - والله - الذي حال بينكم وبين خبر السَّماء. فهنالك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا: ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا، فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: ﴿قل أوحي إليَّ﴾، وإنما أُوحي إليه قول الجن).

=عمرو بن جابر؟ فقلنا: ما ندري من عمرو بن جابر. فقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه، إنَّ فسقة الجنَّ اقتتلوا مع المؤمنين منهم، فقُتل عمرو، وهو الحية التي رأيتم، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم ولّوا إلى قومهم منذرين. «وانظر سبل الهدى: ٢/ ٤٤٦». قلت: فانضاف إلى الخمسة الأولى: سُرق، وعمرو بن جابر. وقيل: انهم تسعة، منهم: زوبعة. والله أعلم.

(١) عُكاظ، بضم أوله، وآخره ظاء معجمة: واد بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، كانت تقام سوق للعرب بموضع منه يقال له: الأُثَيْداء، وهو بين نخلة والطائف. «مراصد الاطلاع: ٢/ ٩٥٣».

الفصل الرابع
فيمن اعترف بنبوة محمد - ﷺ - فآمن أو كفر من علماء النصارى وزعمائهم

ولئن كان موقف يهود من رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - ما عرفت فإن النصارى لايبعد موقفهم عن موقف أسلافهم من يهود، فهم أيضا يعرفون - يقينا - نبي الله محمدا - صلى الله عليه وسلم -، كيف وقد بشّرهم أخوه نبي الله عيسى ابن مريم - عليه السلام - به، قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾(1) [الصف: ٦].

فمنهم من آمن به ومنهم من كفر.

نعم لقد بشّر به أخوه عبد الله ورسوله عيسى ابن مريم - عليه السلام - وعرفه أحبارهم وكبراؤهم، فهذا بحيرى(2) الراهب عندما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو غلام يرافق عمه أبا طالب في تجارته إلى الشام - جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى

---

(١) تتمة الآية الكريمة: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾. وأحمد من أسمائه - صلى الله عليه وسلم -.

(٢) بحيرى: بفتح الموحدة، وكسر الحاء المهملة، وسكون المثناة التحتية، آخره راء مقصورا وقيل ممدودا، هو جرجيس «بكسر الجيمين»، راهب نصراني من عبد القيس، كان في صومعة له ببصرى من أرض الشام، وكان إليه علم النصرانية عن كتاب يتوارثونه كابرا عن كابر. «السيرة: ١/ ١٨٠ وحاشيتها».

أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته[1] ثم جعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخبره، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده.

فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب، فقال له: ما هذا الغلام منك؟

قال: ابني.

قال له بحيرى: ما هو بابنك، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا.

---

(١) لما نزل ركب تجار قريش ذلك العام ببحيرى وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا، وذلك عن شيء رآه وهو في صومعته، رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في الركب حين اقبلوا، وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريبا منه. فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرى نزل من صومعته، ثم أرسل إليهم، فقال: إني قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم، وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله، يابحيرى إن لك لشأنا اليوم، فما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرى: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن اكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم. فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من بين القوم - لحداثة سنه - في رحال القوم تحت الشجرة؛ فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يامعشر قريش لايتخلفن أحد منكم عن طعامي؛ قالوا له: يابحيرى، ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك، إلا غلام، وهو أحدث القوم سنا، فتخلف في رحالهم؛ فقال: لاتفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم. فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، أن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم. فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى اشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم، وتفرقوا، قام إليه بحيرى، فقال له: ياغلام، اسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما اسألك عنه - وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما. قال له - صلى الله عليه وسلم - لاتسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما: فقال له بحيرى: فبالله إلا ما أخبرتني عما اسألك عنه. فقال له: سلني عما بدا لك. فجعل يسأله عن اشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره. «السيرة».

قال: فإنه ابن أخي.

قال: فما فعل أبوه؟

قال: مات وأمه حبلى به.

قال: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنَّهُ شرّاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، فأسرع به إلى بلاده.

فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام[1].

ولقد سمع برسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعض العقلاء من نصارى الحبشة فقدموا إليه - وهو صلى الله عليه وسلم بمكة - وكانوا عشرين رجلا، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة.

فلما فرغوا من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الله - عز وجل - وتلا عليهم القرآن.

فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره.

---

(١) انظر السيرة: ١/ ١٨٠-١٨٣. وقال ابن اسحاق: فزعموا فيما روى الناس: أن زريرا وتماما ودريسا - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل ما رآه بحيرى في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب، فأرادوه فردهم عنه بحيرى، وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن اجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا إليه، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا عنه. اهـ.

ولما اعترضهم سفهاء قريش قالوا لهم : سلام عليكم لانجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا[1].

قيل : وفيهم نزل قول الله تعالى[1] :

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) ﴾ [المائدة].

---

(١) انظر السيرة : ١/ ٣٩١ و٣٩٢، وتفسير ابن كثير : ٢/ ٨٨ و٣/ ٤٠٥ .

شهادة ورقة بن نوفل النصراني للنبي - ﷺ -

بعدما حكى النبي - صلى الله عليه وسلم - لزوجه خديجة بنت خويلد ما جرى له في غار حراء من نزول الملك عليه وغير ذلك، انطلقت إلى ابن عمها: ورقة بن نوفل - وكان قد تنصَّر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل[1] - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه رأى وسمع.

فقال ورقة بن نوفل: قُدّوس، قدّوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن كنت صدقتيني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وإنه لنبيُّ هذه الأمة، فقولي له فليثبت.

ثم إن ورقة لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يطوف بالكعبة فقال: يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت، فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فقال له ورقة: والذي نفسي بيده، إنك لنبي هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى، ولتُكَذَّبنَّه، ولتؤذينَّه، ولتُخرجنّه، ولتُقاتلنَّه، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه، ثم أدنى رأسه منه فقبَّل يافوخه[2].

وكانت خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - قد ذكرت لورقة ابن نوفل بن أسد بن عبد العزى ما ذكر لها غلامها «ميسرة» من قول الراهب[3]، وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلانه.

---

(١) المرجع السابق: ١/ ٢٣٨. وانظر ص: ١٩١ وص: ٢٢٢.

(٢) السيرة: ١/ ٢٣٨. واليافوخ: وسط الرأس.

(٣) حينما رافق ميسرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الشام ليتجر بمال خديجة. فقد نزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب، =

فقال ورقة: لئن كان هذا حقا يا خديجة، إن محمدا لنبي هذه الأمة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي يُنتظر، هذا زمانه[1].

وفي حديث نزول الوحي على النبي - صلى الله عليه وسلم - عند الإمام أحمد والبخاري من حديث أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -: (.. فأخبرها «أي أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - خديجة» الخبر «أي خبر الوحي» وقال: وقد خشيت عليَّ.

فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لايخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة - أخي أبيها - وكان امرأً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني[2]، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية[3] ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك.

فقال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟

=فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم. فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي. وكان ميسرة - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر - يرى ملكين يظلان النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشمس، وهو يسير على بعيره. «انظر السيرة: ١/ ١٨٨».

(١) السيرة: ١/ ١٩١. وانظر قصة ورقة بن نوفل في مسند أحمد من حديث عائشة - رضي الله عنها -: ٦/ ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) عند أحمد: العربي.

(٣) عند أحمد: فكتب بالعربية من الإنجيل.

فأخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبر ما رأى .

فقال ورقة : هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى ، ياليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيًّا إذ يُخرجُك قومُك .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أوَمُخرجيَّ هم؟

فقال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطٌّ بمثل ما جئت به إلا عُودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا .

ثم لم ينشب ورقة أن توفي . .)[1] .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٦/ ٢٣٢-٢٣٣ . صحيح البخاري «مع الفتح» - كتاب بدء الوحي : ١/ ٢٣ .

عدّاس النصراني من أهل نينوى يؤمن برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

عندما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل، وقد خرج إليهم وحده، لكنهم لم يستجيبوا له، بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبّونه، ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط[1] لعتبة ابن ربيعة[2] وشيبة بن ربيعة[3] وهما فيه، فعمد إلى ظل حَبَلَة[4] من عنب فجلس فيه، فلما اطمأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني[5]؟ أم إلى عدوٍّ ملكته أمري؟ إذا لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا

---

(١) بستان.

(٢) ابن عبد شمس، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها، شهد معركة بدر مع المشركين، فقاتل حتى قُتل. «انظر الأعلام: ٤/ ٣٥٩».

(٣) ابن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهلية، ولما كانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة حضرها مع مشركيهم، وقتل فيها. «انظر الأعلام: ٣/ ٢٦٤».

(٤) مظلة شجرة العنب التي تربط فيها فروع الشجرة وتشد إلى سقف من الخشب وتسمى في بعض البلاد: القمرية.

(٥) يستقبلني بوجه كريه، يقال: رجل جهم الوجه: أي كالح الوجه. «وانظر المختار».

والآخرة من أن تُنزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سَخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك).

فلما رآه ابنا ربيعة: عتبة وشيبة، وما لقي، تحركت له رحمهما[1]، فدعوا غلاما لهما نصرانيا، يقال له: عدّاس، فقالا له: خذ قطفا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه.

ففعل عدّاس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم قال له: كل.

فلما وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه يده قال: **باسم الله**، ثم أكل.

فنظر عدّاس في وجهه ثم قال: والله، إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس؟ وما دينك؟**

قال: نصرانيٌّ، وأنا رجل من أهل نينوى[2].

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **من قرية الرجل الصالح: يونس بن متّى[3]؟**

فقال له عدّاس: وما يدريك ما يونس بن متّى؟

---

(١) قرابتهما له - صلى الله عليه وسلم - إذ جميعهم قرشيون.

(٢) قرية من قرى الموصل شمال العراق.

(٣) قيل: لم ينسب أحد من الأنبياء إلى أمه إلا عيسى بن مريم ويونس بن متّى، وهي أمه «الكامل: ١/ ٣٦٠». وقد ورد ذكره في القرآن الكريم باسمه الصريح وبكنيته: ذي النون وصاحب الحوت.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - **ذاك أخي، كان نبيا وأنا نبي**.

فأكبَّ عدّاس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقبّل رأسه ويديه وقدميه.

يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك.

فلما جاءهما عدّاس قالا له: ويلك ياعدّاس! مالك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟

قال: ياسيدي، مافي الأرض شيء خيرٌ من هذا، لقد أخبرني بأمر لايعلمه إلا نبيّ.

قالا له: ويحك ياعدّاس، لايصرفنّك عن دينك، فإن دينك خير من دينه[1][2].

(١) السيرة: ١/ ٤١٩-٤٢١.

(٢) وكذب - والله - عتبة وشيبة ابناء ربيعة فلا دين في الدنيا خير من دين محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولكنها شنشنة الكفر وعداوة أهل الحق والإيمان.

النجاشي ملك الحبشة النصراني عرف الحق فآمن برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

لما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يصيب أصحابه من البلاء وهو غير قادر على أن يمنعهم مما يتعرضون له من ظلم وعدوان من قبل كفار قريش، قال لهم: **(لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)**.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام[(١)].

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلْدَين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته[(٢)]، ثم بعثوهما إليه فيهم[(٣)].

---

(١) انظر السيرة: ١/ ٣٢١ و٣٢٢. وكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين، - سوى ابنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا وولدوا بها - ثلاثة وثمانين رجلا. «السيرة: ١/ ٣٣٠».

(٢) بطارقة: جمع بطريق - بكسر الباء -: القائد من قوّاد الروم، معرّب «المختار».

(٣) السيرة: ١/ ٣٣٣.

وإليك مجريات الأحداث وموقف الملك العادل «النجاشي» من الإسلام وأَهله كما روت ذلك أم المؤمنين أمُّ سلمة، واسمها: هند بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت آنذاك مع المهاجرين إلى الحبشة مع زوجها الأول: أبي سلمة واسمه: عبد الله بن عبد الأسد من بني مخزوم[1].

قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار: النجاشي، أمنّا على ديننا، وعبدنا الله - تعالى - لا نُؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه.

فلما بلغ ذلك قريشا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم[2]، فجمعوا له أدما كثيرا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية.

ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وامروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يُسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم.

قالت: فخرجا حتى قدما على النجاشي، ونحن عنده بخير دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد

---

(١) مات أبو سلمة بالمدينة بعد أن أنجب منها ابنه: سلمة في الحبشة ثم بنتين وابنا في المدينة ثم خطبها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتزوجها بعد أن اعتذرت ثم رضيت. وقد توفيت - رضي الله عنها - بالمدينة سنة ٦٢هـ. «انظر الأعلام لخير الدين الزركلي: ٩/ ١٠٤، وانظر: السيرة: ١/ ٣٢٦؛ وص: ٤٤، (٦) من هذا الكتاب.

(٢) أي الجلد.

الملك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لانعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم.

فقالوا لهم: نعم.

ثم إنهما قدما هداياهما إلى المنجاشي فقبلها منهما.

ثم كلماه فقالا له: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه، لانعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي، ثم قال: لاها الله، إذن لا أُسلمهم إليهما، ولايُكاد[1] قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم

---

(١) من الكيد.

لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول - والله - ما علمنا، وما أمرنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - كائنا في ذلك ما هو كائن.

فلما جاءوا - وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب - رضوان الله عليه - فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا: نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لانشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - قالت: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدَّقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك؛ ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لانُظلم عندك أيُّها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

فقال له جعفر: نعم.

فقال له النجاشي: فاقرأه عليَّ.

قالت: فقرأ عليه صدرا من: ﴿ **كهيعص** ﴾[1].

قالت: فبكى - والله - النجاشيْ حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم.

ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم.

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين فينا: لا نفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا.

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ.

قالت: ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول - والله - ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن.

قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن

---

(١) يعني أول سورة مريم.

مريم؟

قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا - صلى الله عليه وسلم - يقول: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[1].

قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم[2] بأرضي، من سبّكم غرم. ثم قال: من سبكم غرم. ثم قال: من سبكم غرم، ما أُحبُّ أن لي دَبَرا[3] من ذهب وأني آذيت رجلا منكم، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأُطيعهم فيه[4].

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار، مع خير جار[5].

---

(١) العذراء: البكر، التي لم تفض بكارتها. والبتول: العذراء المنقطعة عن الأزواج، وقيل: هي المنقطعة إلى الله عن الدنيا. «مختار الصحاح».

(٢) الشيوم: الآمنون.

(٣) قال ابن هشام: الدبَرُ - بلسان الحبشة -: الجبل. «السيرة».

(٤) وكان الحبشة قد قتلوا أباه ونقلوا الملك إلى عمه ليحرموه من حقه في الملك ثم باعوه - ظلما - إلى أحد التجار، فأبى الله إلا أن يعيد إليه ملكه ويكبت عدوه، فقد قُتل عمه بصاعقة من السماء ولم يكن أحد من أولاده أهلا للملك، فاضطروا إلى البحث عن النجاشي حتى أدركوا التاجر الذي اشتراه فأخذوه منه، ثم جاءوا به، فعقدوا عليه التاج، وأقعدوه على سرير الملك فملّكوه. «انظر تفاصيل الحادث في السيرة: ١/ ٣٣٩ و٣٤٠. والكامل في التاريخ: ٢/ ٨٢».

(٥) انتهى المقصود من رواية أم سلمة. «السيرة: ١/ ٣٣٤-٣٣٨» وانظر الكامل: ٢/ ٧٩-٨١.

موقف ملك الحبشة من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه يدعوه فيه إلى الإسلام والخير

بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري[1] في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتابا، فيه: **(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلامٌ عليك.**

فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخته كما خلق آدم بيده ونفخته.

وإني أدعوك إلى الله وحده لاشريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني فإني رسول الله.

وقد بعثت إليك ابن عمي: جعفر ومن معه من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم[2]، ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله تعالى، وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى).

فكتب النجاشي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

---

(١) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله الضمري، أبو أمية، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وأوّل مشهد شهده: بئر معونة، وكان من أجياد العرب ورجالها، مات بالمدينة في أيام معاوية سنة ٥٥هـ. «انظر: سبل الهدى: ١١/ ٣٦٥. والخلاصة: ٢٨٧. والأعلام: ٥/ ٢٣٨».

(٢) أي أكرم وفادتهم، يقال: قريت الضيف أقريه، من باب: «رمى»، قِرىً - بالكسر والقصر -، والإسم: القراء - بالفتح والمد - «انظر المصباح: قرى».

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النجاشي: الأصحم بن أبجر.

سلامٌ عليك يانبي الله من الله، ورحمة الله وبركاته: لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام، فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فوربِّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا ومصدَّقا وقد بايعتك، وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك - يارسول الله - بأريحا[1] بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حقٌّ[2].

(١) ابن النجاشي في ستين من الحبشة فغرقوا في البحر - رحمهم الله - «انظر الكامل: ٢/ ٢١٣».

(٢) سبل الهدى: ١١/ ٣٦٥-٣٦٦. وقال ابن سعد: بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية إلى النجاشي بكتابين، يدعوه - في أحدهما - إلى الإسلام ويتلو عليه القرآن فأخذ كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض متواضعا، ثم أسلم وشهد شهادة الحق...، وفي الكتاب الآخر: يأمره أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان.. «التي تنصّر زوجها وتوفي في الحبشة». الكامل: ٢/ ٢١٣. ودعا النجاشي بحُقٍّ عاج فجعل فيه كتابي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: لن تزال الحبشة بخير ماكانً هذان الكتابان بين أظهرنا. «سبل الهدى: ١١/ ٣٦٥».

عمرو بن العاص[1] يسلم على يدي النجاشي

وذلك أن عمرو بن العاص - وهو مشرك - كان عند النجاشي ذات مرة رسولا من قبل قريش لبعض شأنهم، إذ جاء عمرو بن أمية الضَّمْريّ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بعثه إلى النجاشي في شأن جعفر وأصحابه وكتب معه كتابا - كما سبق - فدخل على النجاشي ثم خرج منه وقد رآه عمرو بن العاص، فقال لأصحابه: هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه، فضربت عنقه، فإذا فعلت ذلكٰ رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

قال عمرو: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع.

فقال النجاشي: مرحبا بصديقي، أهديت إليَّ من بلادك شيئا؟

قال: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك أدما كثيرا، قال: ثم قربته إليه، فأعجبه واشتهاه.

ثم قال عمرو للنجاشي: أيها الملك، إني قد رأيت رجلا خرج من عندك، وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

فغضب النجاشي، ثم مد يده فضرب به أنفه ضربة. يقول عمرو: ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه[2].

---

(١) ابن وائل . . ابن كعب بن لؤي القرشي السهمي، أبو محمد، أسلم عند النجاشي وقدم مهاجرا في صفر سنة ثمان، فاتح مصر، وأحد عظماء العرب ودهاتهم، توفي بالقاهرة سنة ٤٣هـ. «انظر الخلاصة: ٢٩٠. والأعلام: ٥/٢٤٨».

(٢) أي: خوفا منه.

ثم قال عمرو للنجاشي : أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

قال النجاشي : أتسألني أن أعطيك رسول رجلٍ يأتيه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟!

قال عمرو : أيها الملك، أكذاك هو؟

قال : ويحك ياعمرو، أطعني واتبعه، فإنه - والله - لعلى الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

قال عمرو : أفتبايعني له على الإسلام؟

قال : نعم.

قال عمرو : فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامدا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح، وهو مقبل من مكة، فقلت : أين يا أبا سليمان؟

قال : والله لقد استقام المنسم[2]، وإن الرجل لنبيٌّ أذهب - والله - فأسلم، فحتّى متى؟!

قال عمرو : والله ما جئت إلا لأسلم. قال : فقدمنا المدينة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع. ثم دنوت، فقلت : يارسول الله، إني أبايعك على أن يغفر لي

---

(١)أي جبريل عليه السلام.

(٢)أي تبيّن الطريق ووضح. وأصل المنسم : خفّ البعير. «حاشية السيرة».

ماتقدم من ذنبي - ولا أذكر ما تأخّر - .

قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ياعمرو: بايع، فإن الإسلام يجب[1] ما قبله وإن الهجرة تجبّ ما كان قبلها. قال: فبايعته، ثم انصرفت[2].

(١) أي يقطع. قال ابن هشام: ويقال: فإن الإسلام يحتّ ما كان قبله وإن الهجرة تحتّ ما كان قبلها. اهـ. ويحت: يسقط.

(٢) السيرة: ٢/ ٢٧٧ و٢٧٨. مسند الإمام احمد: ٤/ ١٩٨-١٩٩. وانظر: «الإسلام يجب ما قبله..» من حديث عمرو في مسند الامام أحمد: ٤/ ٢٠٤ «أول الصفحة»؛ و٤/ ٢٠٥ «آخر الصفحة».



النجاشي يورّي[1] بإسلامه على قومه ويموت على الإسلام

ثم إن الحبشة اجتمعوا فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا. وخرجوا عليه. فأرسل إلى جعفر وأصحابه، فهيّأ لهم سُفُنا، وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا.

ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريمَ. ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة، وصفّوا له، فقال: يامعشر الحبشة، ألستُ أحقَّ الناس بكم؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟

قالوا: خير سيرة.

قال: فما بالكم؟

قالوا: فارقت ديننا، وزعمت أن عيسى عبد.

قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟

قالوا: نقول هو ابن الله.

فقال النجاشي - ووضع يده على صدره على قبائه -: هو يشهد

---

(١) ورّيت الحديث تورية: سترته وأظهرت غيره. والتورية: أن تطلق لفظا ظاهرا في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ، لكنه خلاف ظاهره. «المصباح: ورى».

أن عيسى بن مريم، لم يزد على هذا شيئا، وإنما يعني ما كتب، فرضوا وانصرفوا عنه. فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فلمَّا مات النجاشي[1] صلى عليه واستغفر له[2].

---

(١) في رجب من سنة تسع، ونعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس في اليوم الذي مات فيه - وهذا من أعلام نبوّته - صلى الله عليه وسلم - حيث لا وسائل اتصال كما هو اليوم - وصلى عليه بالبقيع، رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة. «انظر هامش (٤) من السيرة: ١/ ٣٤١، وانظر دلائل البيهقي: ٤/ ٤١٠-٤١٢».

(٢) السيرة: «١/ ٣٤٠-٣٤١».

وفد نصارى نجران عرفوا الحق فأبوا إلاَّ الكفر

قدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد نصارى نجران[1]، ستون راكبا، . . منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم:

١- العاقب، واسمه عبد المسيح: أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لايصدرون إلا عن رأيه.

٢- والسيد، واسمه الأيهم: لهم ثُمالُهم، الذي يقوم بأمورهم وشؤونهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم.

٣- وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل: أُسقُفُّهم وحَبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم.

وهم من النصرانية مع اختلاف من أمرهم يقولون عن المسيح - عليه السلام - هو الله، محتجين بأنه كان يُحيي الموتى، ويُبريءُ الأسقام، ويُخبر بالغيوب، ويخلُقُ من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرا[2].

---

(١) وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد كتب إليهم يدعوهم إلى الإسلام: (بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام). انظر دلائل النبوة للبيهقي: ٥/ ٣٨٥ وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٧٧؛ وسبل الهدى: ٦/ ٤١٥.

(٢) وكل هذا ثابت بالقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠)﴾ [المائدة]. قال ابن اسحاق: وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١].

ويقولون: إنه ولد الله، محتجين بأنه لم يكن له أبٌ يُعلم، وقد تكلم في المهد، وهذا لم يصنعه أحدٌ من ولد آدم قبله.

ويقولون: إنه ثالث ثلاثة، محتجين بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا، وقضينا، فيقولون: لو كان واحدا ما قال إلا: فعلتُ، وأمرتُ، وخلقتُ، وقضيتُ؛ ولكنه هو وعيسى ومريم[1].

فلما كلّم حبران منهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أسلما.

قالا: قد أسلمنا.

قال: إنكما لم تُسلما، فأسلما.

قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك.

قال: كذبتما، يمنعكما من الإسلام: دعاؤكما لله ولدا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير.

قالا: فمن أبوه[2] يا محمد؟

---

(١) وفي ذلك كله من قولهم نزل القرآن: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)﴾ [المائدة]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)﴾ [التوبة]. وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١)﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ [المائدة].

(٢) أي أبو المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام -.

فصمت عنهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يجبهما[1].

فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم كله، أنزل صدر سورة آل عمران إلى بضع[2] وثمانين آية منها.

ومن الآيات التي أنزلها رب العزة تبارك وتعالى في قرآنه الكريم - بهذه المناسبة - المباهلة[3]:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ[4] (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ

---

(١) هذه رواية ابن اسحاق في السيرة، وفي رواية البيهقي: قالوا له: ماتقول في عيسى فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن نصارى يسرّنا إن كنت نبيا أن نسمع ما تقول فيه. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (ماعندي فيه شيءٌ يومي هذا فأقيموا حتى أخبركما بما يقول لي ربي في عيسى) «دلائل النبوة: ٥/ ٣٨٧. وانظر ابن كثير: ١/ ٣٧٨».

(٢) بضع: من الثلاثة إلى التسعة. «انظر المصباح: بضع».

(٣) أي الملاعنة، لقوله تعالى فيها: ﴿ **ثم نبتهل** ﴾ أي نلتعن. «انظر ابن كثير». وقال أبوعبيدة: نبتهل: ندعوا باللعنة.. وتقول العرب: بهل الله فلانا أي لعنه، وعليه بهلة الله: أي لعنة الله، ونبتهل - أيضا - نجتهد في الدعاء. «السيرة: ١/ ٥٨٣».

(٤) يقول جل وعلا: ﴿ **إنَّ مثل عيسى عند الله** ﴾ في قدرة الله حيث خلقه من غير أب ﴿ **كمثل آدم** ﴾ حيث خلقه من غير أب ولا أم، بل ﴿ **خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون** ﴾ فالذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى لكونه مخلوقا من غير أب فجوّز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطلٌ فدعواه في عيسى أشد بطلانا وأظهر فسادا، ولكن الرب جل جلاله أراد أن يظهر قدرته لخلقه حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى، وخلق حوّاء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿ **ولنجعله آية للناس** ﴾ وقال ههنا: ﴿ **الحقُ من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾ أي هذا هو القول الحق في عيسى، الذي لا محيد عنه، ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال. «ابن كثير: ١/ ٣٧٥ و٣٧٦».

الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلاَّ اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) ﴾ [آل عمران].

فلمَّا أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الخبر من الله عن عيسى - عليه السلام -، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأُمرَ بما أُمرَ به من ملاعنتهم إن ردوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا له: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه.

فانصرفوا، ثم خلوا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبد المسيح، ماذا ترى؟

فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم ما لاعن قومٌ نبيّا قطُّ فبقي كبيرهم، ولانبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلفَ دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نُلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضا.

فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا عبيدة بن الجرّاح

فقال له: اخرج معهم، فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه[1].

وهكذا فقد فاز منهم من فاز باتباع النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وخسر منهم من خسر الإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واتباعه.

(١) انظر: السيرة: ١/ ٥٧٣-٥٨٤، وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٧٦-٣٧٩، دلائل النبوة للبيهقي: ٥/ ٣٨٢-٣٩٣. وسبل الهدى: ٦/ ٤١٥-٤٢٢.

شهادة أسقف النصارى أبي حارثة بن علقمة لرسول الله محمد - ﷺ - ولكن حبه للدنيا منعه من أن يسلم

أبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل، أُسقُف[1] النصارى وحَبْرُهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم[2]، كان قد شَرُف فيهم، ودرس كتبهم، حتى حسُن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرّفوه وموّلوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

وكان ثالث الثلاثة الكبار[3] في وفد نصارى نجران[4] إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فلما توجهوا إلى مدينة النبي - صلى الله عليه وسلم -، جلس أبو حارثة على بغلة، وإلى جنبه أخٌ له يقال له: كوز بن علقمة، فعثرت بغلة أبي حارثة.

فقال كوز: تعس[5] الأبعد، يريد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) الأسقُف أو الأُسْقُفّ - بتخفيف الفاء أو تثقيلها -، درجة في رجال الكنيسة فوق القسيس ودون المطران، والجمع: أساقفة وأساقف. «المنجد: سقف».

(٢) بيت تدرس فيه التوراة. «المنجد: درس».

(٣) وهم: العاقب واسمه: عبد المسيح، والسيّد واسمه: الأيهم، وابو حارثة بن علقمة. «انظر السيرة: ١/ ٥٧٣».

(٤) نجران: مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية على الحدود مع اليمن، في واديها شق ملك حمير: ذو نواس الأخدود وأوقده بالنار لإجبار نصارى نجران على اعتناق اليهودية. «انظر المنجد - الأعلام». قلت: تبعد عن مكة ٩١٢ كم جنوبا.

(٥) تَعَسَ تعسا - من باب نفع - فهو تاعس: أكبَّ على وجهه. ومن باب تعِب، فهو تعِس، مثل: تعب. «المصباح: تعس».

فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست.

فقال: ولِمَ يا أخي؟

قال: والله، إنه للنبيُّ الذي كنا ننتظر.

فقال له كوز: ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟

قال: ما صنع بنا هؤلاء القوم[1]، شرّفونا وموّلونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلت نزعوا منّا كلَّ ما ترى[2].

فأضمر عليها منه أخوه: كوز بن علقمة، حتى أسلم بعد ذلك[3].

(١) أي النصارى وملوكهم.

(٢) فحالت الدنيا الزائلة وزينتها الزائفة من أن يسلم ويتبع النبي محمدا - صلى الله عليه وسلم - فيفوز بسعادة الأبد، فمات على الكفر فخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين.

(٣) السيرة: ١/ ٥٧٣.

قصة إسلام سلمان الفارسي عرف النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف فأسلم

لقد أمضى سلمان الفارسي[1] - رضي الله عنه - شطر عمره وهو يبحث عن الدين الحق فتنقل في البلدان ولازم أعلم النصارى في ذلك الوقت، كلما توفي أحدهم انتقل إلى الآخر بوصية من السابق حتى انتهى إلى آخرهم الذي أوصاه بترقب وانتظار مبعث النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -، حيث وصف دينه وأنه دين إبراهيم - عليه السلام - وعيّن الأرض التي يخرج فيها وأنها أرض العرب، وعيّن مُهاجَرَهُ وأنها أرضٌ بين حرّتين، بينهما نخل، وهو وصف يثرب، وذكر بعض أخلاقه وأنه يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وذكر أهم علامة جعلها الله في جسده الشريف - صلى الله عليه وسلم - تدل على أنه رسول الله وهو خاتم النبوة بين كتفيه.

ثم كان سلمان - بقدر الله عز وجل - عبدا لبعض اليهود في المدينة حين سمع بمقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها، فأسرع إلى لقائه والتعرف عليه والتأكد منه، فما إن تيقّن أنه هو النبي المبشّرُ به حتى أكبَّ عليه يُقبّله ويبكي، وإليك قصة إسلامه يحكيها

---

(١) من مقدّمي الصحابة - رضي الله عنهم - أصله من مجوس أصبهان، عمَّر طويلا، كان يسمّي نفسه: سلمان الإسلام، رحل إلى الشام فالموصل فنصيبين فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، قويُّ الجسم، صحيح الرأي عالمٌ بالشرائع وغيرها، وهو الذي دلَّ المسلمين على حفر الخندق في غزوة الأحزاب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (سلمان منّا أهل البيت). أقام في المدائن أميرا عليها وتوفي فيها سنة «٣٦هـ - ٦٥٦م»، كان يتصدق بعطاء وظيفته، وينسج الخوص، ويأكل خبز الشعير من كسب يده. «انظر الأعلام ٣/١٦٩».

بنفسه[١] - رضي الله تعالى عنه - ففيها ذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.

عن عبد الله بن عبّاس - رضي الله عنهما - قال: حدّثني سلمان الفارسي، وأنا أسمع من فيه، قال:

كنت رجلا فارسيا من أهل «أصبهان»[٢] من قرية يقال لها: «جَيّ»، وكان أبي دهقان[٣] قريته، وكنت أحَبَّ خلق الله إليه، لم يزل به حبُّه إيّاي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطْنَ[٤] النار الذي يوقدها، لايتركها تخبو ساعة. قال:

وكانت لأبي ضيعة[٥] عظيمة، فشُغلَ في بنيان له يوما، فقال لي: يابنيّ، إني قد شُغلتُ في بنياني هذا اليَوم عن ضيعتي، فاذهب إليها فاطَّلعها. وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولاتحتبس عنّي، فإنك إن احتبست عني كنت أهمَّ إليَّ من ضيعتي، وشغلتني عن كل شيء من أمري.

قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة[٦]

---

(١) رواها ابن اسحاق في السيرة النبوية: ١/ ٢٤١-٢٢٢ عن ابن عباس عن سلمان، وانظر مجمع الزوائد للهيثمي: ٩/ ٣٣٢-٣٤٣، وأخرجه احمد: ٥/ ٤٤١-٤٤٤، وابن سعد: ٤/ ٧٥-٨٢، والخطيب البغدادي: ١/ ١٦٤-١٦٩. والذهبي: ١/ ٥٠٥-٥٣٨.

(٢) أصبهان - بفتح الهمزة أكثر وأشهر من كسرها -: مدينة عظيمة من أعلام المدن من بلاد العجم نواحي الجبل، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وكانت مدينتها أوّلاً جيّاً ثم صارت اليهودية، وأصبهان معربة من «سباهان» بمعنى الجيش.

(٣) الدهقان - بكسر الدال، وفي لغة بضمها -، والجمع: دهاقين، والدهقان: معرّب يطلق على رئيس القرية، وعلى التاجر. «انظر المصباح».

(٤) أي خادمها.

(٥) جمعها ضياع، مثل كلبة وكلاب، والضيعة: العقار والبستان.

(٦) محل العبادة عند النصارى. والكنيس: عند اليهود. «المنجد».

من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلَما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خيرٌ من الدين الذي نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبي فلم آتها، ثم قلت لهم: أين أصل[1] هذا الدين؟

قالوا: بالشَّام[2].

فرجعت إلى أبي، وقد بعث في طلبي، وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني، أين كنت؟ أولم أكن عهدت إليك ما عهدت؟

قال: قلت له: يا أبت، مررت بأُناس يصلّون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينَهم، فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس.

قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خيرٌ، دينك ودين آبائك خيرٌ منه.

قال: قلت له: كلا والله، إنه لخيرٌ من ديننا. قال: فخافني،

---

(١) أي مبعثه وظهوره.

(٢) الشام - بغير همز - لغةٌ في الشأم - بسكون الهمزة وبفتحها، مثل نهْر ونهَر - فهي ثلاث لغات، وقد تذكر وتؤنث، سميت بـ«سام بن نوح» عليه السلام لأنه أول من نزلها فجعلت السين شينا لتغير اللفظ العجمي، وحدّها: من الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، ومن جبلي طيء - من نحو القبلة - إلى بحر الروم «البحر المتوسط»، وهي خمسة أجناد «أي بلدان كبيرة»: قنّسرين ودمشق والاردن وفلسطين وحمص. «انظر معجم البلدان». قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (اللهم بارك لنا في شامنا ويمننا . .) وقال: (الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده . .). «راجع مجمع الزوائد للهيثمي، باب ما جاء في أهل اليمن والشام وباب ما جاء في فضل الشام: ١٠/ ٥٧-٦٣».

فجعل في رجلي قيدا، ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قَدِمَ عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدِمَ عليهم ركبٌ مِن الشام تجّارٌ من النصارى، فأخبروني بهم.

فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم.

قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي[1]، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام. فلما قدمتها، قلت: مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين علما؟

قالوا: الأُسْقُف[2] في الكنيسة.

قال: فجئته، فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين، فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك فأتعلم منك، وأصلي معك.

قال: ادخل. فدخلت معه.

قال: وكان رجل سوء، يأمرهم بالصَّدقة، ويُرَغّبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه، ولم يعطه المساكين، حتى جمع

---

(١) أي عالجته حتى تخلصت منه.

(٢) الأُسقُف - بتشديد الفاء وبتخفيفها أيضا -، جمعه: أساقفة وأساقف، واللفظ من اصطلاحات النصارى في درجات علمائهم، فالأسقف فوق القسيس ودون المطران. ودرجاتهم من الصغر إلى الكبر كالآتي: ١- الشّمّاس، جمعه: شمامسة، سريانية، ومعناها: الخادم. ووظيفته: الشّمّاسيّة. ٢- القَسّ أو القسّيس وهو الكاهن «أي الشيخ عندهم». ٣- الأُسقف. ٤- المطران، جمعه: مطارنة ومطارين: رئيس الكهنة. والكلمة مقتطعة من «ميتر يبولتس» اليونانية، ومعناها: المدينة الأم. ٥- البطرك والبطريرك والبطريك، وجمعه: بطاركة وبطاريك، وهو: رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية. «انظر المنجد، كلاً في مادته اللغوية».

سبع قلال من ذهب وورق[1].

قال: فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة ويرغّبكم فيها، فإذا جئتموه بها، اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئا.

قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟

قال: قلت لهم: أنا أدُلُّكم على كنزه.

قالوا: فدلَّنا عليه.

قال: فأريتهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا.

قال: فلما رأوها قالوا: والله لا ندفنه أبدا.

قال: فصلبوه، ورجموه بالحجارة، وجاؤا برجل آخر، فجعلوه مكانه.

قال: فما رأيت رجلا لايصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه[2]، وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب[3] ليلا ونهارا منه.

قال: فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله. قال: فأقمت معه زمانا طويلا، ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني قد كنت معك

---

(١) أي فضّة.

(٢) أي: ما رأى أحدا من غير المسلمين أفضل منه.

(٣) أي ولا أنشط في عبادة.

وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك، وقد حضرتك ماترى من أمر الله تعالى، فإلى مَنْ توصي بي؟ وبما تأمرني؟

قال: أي بُني، والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه، فقد هلك الناس، وبدَّلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه، إلا رجلا بالموصل[1]، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه فالحق به.

قال: فلمّا مات وغُيّبَ لحقت بصاحب الموصل، فقلت له: يا فلان، إنَّ فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره.

فقال لي: أقم عندي.

فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات. فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلانا أوصى بي إليك، وأمرني باللحوق بك، وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى مَنْ توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟

قال: يابني، والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنَّا عليه إلا رجلا بنصيبين[2]، وهو فلان، فالحق به.

فلمَّا مات وغُيّبَ لحقت بصاحب نصيبين، فأخبرته خبري، وما

---

(١) قال ياقوت في معجمه: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة، إحدى قواعد بلاد الإسلام، قليلة النظير كبرا وعظما، وكثرة خلق، وسعة رقعة، فهي محط رحال الركبان، ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق، ومفتاح خراسان، ومنها يقصد إلى أذربيجان، وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، . . ، وهي مدينة قديمة الأس على طرف دجلة . . وفي وسطها قبر «جرجيس» النبي . . والغريب إذا أقام فيها سنة تبين في بدنه فضل قوة.

(٢) نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة - مابين النهرين - «من تركيا حاليا» على طريق القوافل من الموصل إلى الشام. «انظر معجم البلدان، والمنجد».

أمرني به صاحبه، فقال: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله ما لبث أن نزل به الموت.

فلما حُضر قلت له: يا فلان، إن فلانا كان أوصي بي إلى فلان، ثم أوصى بي فَلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟

قال: يابني، والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية[1] من أرض الروم، فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته، فإنه على أمرنا.

فلمَّا مات وغُيِّب لحقتُ بصاحب عمورية، فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم.

قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنَيْمةٌ.

قال: ثم نزل به أمر الله تعالى، فلما حُضر قلت له: يا فلان، إني كنت مع فلان، فأوصى بي إلى فلان، ثم أوصى بي فلان إلى فلان، ثم أوصى بين فلان إليك، فإلى من توصي بي؟ وبِمَ تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم - عليه السلام - يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى إرض بين حرّتين[2]، بينهما نخل، به علامات لاتخفى، يأكل الهدية، ولايأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوَّة، فإن استطعت أن

(١) عمّورية: بفتح أوله وتشديد ثانيه «وفي المنجد بتخفيف الميم وتشديد الياء آخر الحروف»: بلد في بلاد الروم، غزاه المعتصم العباسي سنة ٢٢٣هـ، ٨٣٨م.

(٢) مثنى حرَّة، بالفتح، وهي: أرض ذات حجارة سود، والجمع: حِرار، مثل: كلبة وكلاب. «المصباح».

تلحق بتلك البلاد فافعل.

قال: ثم مات وغُيِّبَ، ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث. ثم مرَّ بي نفرٌ من «كلب[1]» تجّار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنيمتي هذه.

قالوا: نعم.

فأعطيتهموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى[2] ظلموني، فباعوني من رجل يهودي عبدا، فكنت عنده، ورأيت النخل، فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي، ولم يحقَّ في نفسي، فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عم له من بني قريظة[3] من المدينة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة، فوالله ماهو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها.

وبُعثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام، لا أسمع لَه بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرِّقّ.

ثم هاجر إلى المدينة، فوالله إني لفي رأس عذق[4] لسيدي أعمل له فيه بعض العمل، وسيدي جالس تحتي، إذ أقبل ابن عم له

---

(١) أي من قبيلة «كلب».

(٢) واد بين الشام والمدينة، وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى، وهي قديما كانت منازل ثمود وعاد، وبها أهلكهم الله، ونزلها بعدهم اليهود، ولما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من خيبر سنة سبع امتد إلى وادي القرى فغزاه ونزل به. «راجع معجم البلدان: القرى، ٤/ ٣٣٨، وادي القرى: ٥/ ٣٤٥».

(٣) بنو قريظة حي من اليهود كانوا بالمدينة النبوية، نقضوا عهدهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وتحالفوا مع كفار قريش في غزوة الأحزاب «الخندق» في شوال سنة خمس من الهجرة.

(٤) العذق - بالفتح - مثال فَلس: النخلة، وبالكسر، مثال حِمل: جامع الشماريخ. «المصباح».

حتى وقف عليه، فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة[1]، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء[2] على رجل قَدِمَ عليهم من مكة اليوم، يزعمون أنه نبي.

قال سلمان: فلمّا سمعتها أخذتني العُرَواء[3]، حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه: ماذا تقول؟ ماذا تقول؟، فغضب سيدي، فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لاشيء، إنما أردت أن أستثبته عما قال.

قال: وقد كان عندي شيءٌ قد جمعته فلما أمسيت أخذته، ثم ذهبت به إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بقباء، فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحقَّ به من غيركم، قال: فقرّبته إليه.

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: كلوا. وأمسك يده فلم يأكل.

قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة.

قال: ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئا، وتحوَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له: إني قد

---

(١) قال ابن هشام: قَيْلَة: بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد . . .، أم الأوس والخزرج. «سيرة ابن هشام: ١/ ٢١٨».

(٢) قُباء - بالضم - قرية قرب المدينة هي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار وفيها مسجد التقوى. «انظر مراصد الاطلاع».

(٣) العُرَواء: الرعدة من البرد والانتفاض، فإن كان مع ذلك عرق فهي الرُّحَضاء، وكلاهما ممدود. «السيرة: ١/ ٢١٩».

رأيتك لاتأكل الصدقة، وهذه هدية أكرمتك بها.

قال: فأكل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه.

قال: فقلت في نفسي: هاتان ثنتان.

ثم جئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ببقيع الغرقد[١]، قد تبع جنازة رجل من أصحابه[٢]، وعليَّ شملتان[٣] لي، وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره، هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟

فلما رآني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استدبرته عرف أني استثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أُقبّله وأبكي، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: تحوّل، فتحولتَ فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأعجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يسمع ذلك أصحابه..[٤].

---

(١) مقبرة أهل المدينة، بجوار مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والبقيع في اللغة: موضع الشجر. والغرقد: كبار العوسج. «انظر مراصد الاطلاع».

(٢) هو كلثوم بن الهرم، وهو أول من توفي من المسلمين بعد مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. «من حاشية محقق سيرة ابن هشام: ١/ ٢٢٠».

(٣) مثنى شملة، وهي كساء صغير يؤتزر به، والجمع: شملات وشُمال. «المصباح».

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقّا وصاحبيه: ١/ ٢١٤-٢٢٢.

قصة إسلام ملك قبيلة طيء
النصراني عدي بن حاتم[1]

كان عدي بن حاتم امرأ شريفا، نصرانيا، ملكا في قومه، ولم يكن أحدٌ من العرب أشدَّ كراهية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - منه وذلك لظنّه أن زوال ملكه ومنصبه في قومه سيكون على يد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -[2]، وكان قد أعدَّ العدة لفراره ولحوقه بأهل دينه من النصارى بالشام إذا ما غشيته خيل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

فلما بلغه أن جيوش الحق قد اقتربت احتمل أهله وولده على أجماله فسلك بهم طريقا إلى الشام فأقام بها[3].

قال عدي: وتُخالفُني خيلٌ لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتصيب ابنة حاتم[4]، فيمن أصابت، فقُدِمَ بها على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سبايا طيِّء، وقد بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هربي إلى الشام.

قال: فجُعِلَتْ بنت حاتم في حظيرة بباب المسجد - كان السَّبايا

---

(١) ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو طريف وأبو وهب، أمير، صحابي من الأجواد العقلاء، رئيس طيء في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة ٩هـ وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد الجمل وصفّين والنَّهروان مع علي، وفُقئت عينه يوم صفّين. مات بالكوفة سنة ٦٨هـ، وهو ولد حاتم الطائي الجواد. «الأعلام: ٥/ ٨، وانظر الروض الأنف: ٤/ ٢٢٨».

(٢) كما يبدو لي، أو لتعصبه لدينه وتمسكه به.

(٣) انظر السيرة: ٢/ ٥٧٨.

(٤) تعبيره مشعر أنه لابنت لحاتم غيرها، وهي سفّانة، وكان عدي قد خلفها في ديارها ولم يأخذها معه. وانظر السيرة: ٢/ ٥٧٩، والروض الأنف: ٤/ ٢٢٨.

يُحبسن فيها - فمرّ بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يارسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد[1]، فامنن عليّ مَنَّ الله عليك.

قال: ومَنْ وافدُك؟

قالت: عَديٌّ بن حاتم.

قال: الفارٌّ من الله ورسوله؟

ثم مضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتركها، حتى إذا كان من الغد مرَّ بها، فقالت له مثل ذلك، وقال لها مثل ما قال بالأمس.

قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئست منه، فأشار إليَّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه؛ قالت: فقمت إليه، فقلت: يارسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك.

فقال - صلى الله عليه وسلم -: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني[2].

فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلِّمه، فقيل: عليّ بن أبي طالب - رضوان الله عليه -. وأقمت حتى قَدِمَ ركبٌ من بليّ[3] أو

---

(١) في مسند أحمد «٤/ ٣٧٨»: نأى الوافد وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة..

(٢) أي أعلميني.

(٣) بليّ بن عمرو: قبيلة عظيمة من قضاعة من القحطانية، تقع مساكنها بين المدينة ووادي القرى، من منقطع دار جهينة، إلى حد دار جذام بالنّبك، على شاطيء البحر. «معجم قبائل العرب لعمر رضا كحّالة: ١/ ١٠٤-١٠٧».

قضاعة[1]. قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام.

قالت: فجئت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يارسول الله، قد قَدِمَ رهط من قومي، لي فيهم ثقةٌ وبلاغٌ.

قالت: فكساني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وحَمَلَني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

قال عديّ: فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة[2] تصوب إليّ تؤمُّنا، قال: فقلت: ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت[3] تقول: القاطع الظالم، احتملت بأهلك وولدك، وتركت بقية والدك عورتك.

قال: قلت: أي أُخيّة، لاتقولي إلا خيرا، فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها، وكانت امرأة حازمة: ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى - والله - أن تلحق به سريعا، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن، وأنت أنت.

قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) شعب عظيم من حمْيَر، من القحطانية، غلب عليهم اسم أبيهم، فهم: بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مَرّة بن زيد بن مالك بن حمير، كان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق، وكانت النصرانية منتشرة في بعضهم. «معجم قبائل العرب: ٣/ ٩٥٧».

(٢) المرأة على البعير.

(٣) اندفعت.

وسلم - المدينة[1]، فدخلت عليه وهو في مسجده، فسلّمت عليه، فقال: مَنِ الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم.

فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة، فاستوقفته، فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها.

قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أدم[2] محشوَّة ليفا، فقذفها إليَّ؛ فقال: اجلس على هذه، قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأرض؛ قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك.

ثم قال - صلى الله عليه وسلم -: **إيه ياعَدِيَّ بن حاتم، ألمْ تكُن ركوسيا[3]؟**

قلت: بلى.

قال: **أولم تكن تسير في قومك بالمرباع[4]؟**

قلت: بلى.

قال: **فإنّ ذلك لم يكن يحلُّ لك في دينك.**

قلت: أجل والله. قال عدي: وعرفت أنه نبيٌّ مرسلٌ يعلم ما

---

(١) عند أحمد «٤/ ٢٥٧»: فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، عدي بم حاتم.

(٢) جلد.

(٣) الركوسية: دين بين النصرانية والصابئة.

(٤) يأخذ الربع من الغنائم باعتباره ملكهم.

يُجْهَل .

ثم قال – صلى الله عليه وسلم –: **لعلك ياعدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ماترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيضَ فيهم حتى لايوجد مَنْ يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخولٍ فيه ماترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمعَ بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لاتخاف[1]؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وايم الله ليوشكنّ أنْ تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم[2].**

قال عدي: فأسلمتُ.

وكان عدي يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن[3]، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فُتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لاتخاف حتى تحج هذا البيت، وايم الله لتكونن الثالثة، ليفيضنَّ المال حتى لايوجد من يأخذه[4].

---

(١) وعند أحمد «٤/ ٢٥٧»: . . أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت بها. قال: فوالذي نفسي بيده ليتمّنّ الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد.

(٢) وعند أحمد: وليُفتَحَنّ كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم كسرى بن هرمز . . قال عدي: ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز . . ، وفي رواية أخرى عند أحمد «٤/ ٣٧٨»: وكنت في الخيل التي اغارت على المدائن.

(٣) وعند أحمد: والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة، لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد قالها.

(٤) السيرة: ٢/ ٥٧٨–٥٨١. وانظر مسند الامام احمد: ٤/ ٢٥٧، سطر ١٦ وص/ ٣٧٨.

وفي رواية[1]: أن عديّا عندما قدم المدينة تحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنق عديّ صليب من فضة[2] والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ..[3]﴾ [التوبة: ٣١].

قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم.

فقال - عليه الصلاة والسلام -: **(بلى، إنهم حرّموا عليهم الحلال، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إيّاهم)**.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(ياعدي ماتقول؟ أيضرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئا أكبر من الله؟، ما يضرك؟ أيضرك أن يقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلها غير الله؟)**، ثم دعاه إلى الإسلام فأسلم، وشهد شهادة الحق. قال: فلقد رأيت وجهه استبشر ثم قال: **(إن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالّون)**[4].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦٢.

(٢) عند ابن جرير «تفسير الطبري»: ١٤/ ٢١٠، والترمذي: ٥/ ٢٧٨: «صليب من ذهب». زاد الترمذي: فقال ياعدي اطرح عنك هذا الوثن. «وكذلك عند ابن جرير».

(٣) تتمة الآية: ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(٤) انظر قصة عدي بن حاتم بألفاظها المختلفة: سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٧٨، مسند أحمد: ٤/ ٢٥٧ و٣٧٨، تفسير الطبري: ١٤/ ٢١٠، سنن الترمذي: ٥/ ٢٧٨، تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٦٢. هداية الحيارى: ٢٧.

قيصر ملك الروم تبلغه دعوة النبي صلى الله عليه وسلم فيفضل منصبه على سعادة الأبد

روى البيهقي[١] - رحمه الله - بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتب إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وبعث بكتابه إليه مع دحية الكلبي[٢]، وأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدفعه إلى عظيم بُصرى[٣] ليدفعه إلى قيصر، فدفعه عظيم بُصرى إلى قيصر، وكان قيصر[٤] لما كشف الله عنه جنود فارس مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لما أبلاه الله، فلما أن جاء قيصر كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال حين قرأه: التمسوا لي ههنا أحدا من قومه لأسألهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال ابن عباس: فأخبرني أبو سفيان ابن حرب[٥] أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجَّارا في المدة التي كانت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبين كفّار قريش[٦]، قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام فانطلق

---

(١) وهذه رواية البخاري بلفظها أيضا في كتاب الجهاد «انظر فتح الباري: ٦/ ١٠٩-١١١».

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة الكلبي، أسلم قديما، كان جبريل - عليه السلام - ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بصورته، نزل المزّة من أعمال دمشق وتوفي سنة ٤٥هـ في أيام معاوية. «انظر: سبل الهدى والرشاد: ١١/ ٣٥٢. والأعلام للزركلي».

(٣) مدينة بين المدينة ودمشق، وعظيمها: الحارث بن أبي شمر الغسّاني. «الفتح».

(٤) هذا لقبه، واسمه: هرقل. «فتح الباري: ١/ ٣٣».

(٥) هو: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو معاوية، من سادات قريش في الجاهلية، أسلم يوم فتح مكة، وكان من الشجعان الأبطال، فقئت عينه يوم الطائف، وفقئت الأخرى يوم اليرموك، فعمي، توفي بالمدينة سنة ٣١هـ. «انظر الأعلام: ٣/ ٢٨٨».

(٦) أي في هدنة الحديبية، وكانت سنة ٦هـ.

بي وبأصحابي، حتى قدمنا إيلياء، فأدخلنا عليه فإذا هو جالس في مجلس ملكه وعليه التاج، وإذا حوله عظماء الروم، فقال لترجمانه[1]: سلهم أيُّهم أقرب نسبا إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ؟

قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسبا.

قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟

فقلت: هو ابن عم. قال: وليس في الرَّكب يومئذ أحدٌ من بني عبد مناف غيري.

فقال قيصر: أدنوه.

وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري عند كتفي ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إني سائل هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبي، فإن كذب فكذِّبوه.

قال أبو سفيان: والله لولا الحياء يومئذ من أن يأثر أصحابي عني الكذب لكذبته حين سألني عنه، ولكني استحييت أن يأثروا الكذب عني فصدقته.

ثم قال لترجمانه: قل له: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول أحدٌ منكم قبله؟

قلت: لا.

(١) ترجم فلان كلامه: إذا بيّنه وأوضحه، وترجم كلام غيره: إذا عبّر عنه بلغة غير لغة المتكلم، واسم الفاعل: ترجمان، وفيه لغات، أجودها: فتح التاء وضم الجيم.. «المصباح: ترج».

فقال : فهل كنتم تتهمونه على الكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت : لا .

قال : فأشراف الناس يتَّبعونه أم ضعفاؤهم؟

قلت : بل ضعفاؤهم .

قال : فيزيدون أم ينقصون؟

قلت : بل يزيدون .

قال : فهل يرتدُّ أحدٌ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت : لا .

قال : فهل يغدر[1]؟

قلت : لا ، ونحن الآن منه في مدة نحن نخاف أن يغدر[2] .

قال أبو سفيان : ولم تُمكّنّي كلمة أدخل فيها شيئا اتنقَّصه به - لا أخاف أن تؤثر عنى - غيرها .

قال «قيصر» : فهل قاتلتموه أو قاتلكم؟

قلت : نعم .

قال : فكيف كانت حربه وحربكم؟

قلت : كانت دولا وسجالا ، يُدال علينا المرّة، ونُدال عليه الأخرى .

قال : فماذا يأمركم به؟

---

(١) غدر به غدرا - من باب ضرب - : نقض عهده . «المصباح : غدر» .

(٢) وفي رواية البخاري في بدء الوحي : ونحن منه في مدة لاندري ماهو فاعل فيها .

قلت: يأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا. وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة.

قال أبو سفيان: فقال لترجمانه - حين قلت ذلك -: قل له: إني سألتك عن نسبه فيكم، فزعمت: أنه ذو نسب، وكذلك الرُّسل تُبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال هذا القول أحدٌ منكم قبله؟ فزعمت: أن لا. فقلت: لو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبله قلت: رجلٌ يأتمُّ بقولٍ قد قيل قبله.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت: أن لا. فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فزعمت: أن لا. فقلت: لو كان من آبائه ملكٌ قلت يطلبُ ملك آبائه.

وسألتك: أشراف الناس يتبعونه أو ضعفاؤهم؟ فزعمت: أن ضعفاءهم اتبعوه. وهم أتباع الرسل.

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت: أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم.

وسألتك: هل يرتدُّ أحدٌ سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت: أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لايسخطه أحد.

وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت: أن لا. وكذلك الرسل لايغدرون.

وسألتك: هل قاتلتموه وقاتلكم؟ فزعمت: أن قد فعل، وأن حربكم وحربه يكون دولا يدال عليكم المرة، وتدالون عليه الأخرى. وكذلك الرسل تبتلى وتكون لها العاقبة.

وسألتك: بماذا يأمركم؟ فزعمت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، ويأمركم بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة. وهذه صفة نبي قد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أعلم أنه منكم، وإن يك ما قلت حقا فيوشك أن يملك موضع قدميَّ هاتين، ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه.

قال أبو سفيان: ثم دعا بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمر به فقريء، فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم[١] الروم: سلامٌ على مَن اتّبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين[٢]، وإن توليت فعليك إثم الأريسيين[٣]، و﴿.. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

---

(١) لم يذكره بالملك أو الإمرة، لأنه معزول بحكم الإسلام، لكنه لم يخله من إكرام لمصلحة التألف. «الفتح: ١/ ٣٨».

(٢) وإعطاؤه الأجر مرتين لكونه كان مؤمنا بنبيه ثم آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - «الفتح».

(٣) جمع أريسي، منسوب إلى أريس - بوزن فعيل -، والأريس: الأكّار، أي الفلاح. أراد أن عليكم إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليدا له لأن الأصاغر أتباع الأكابر. «الفتح: ١/ ٣٩».

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران] . .) .

قال أبو سفيان: فلما أن قضى مقالته علت أصوات الذين حوله من عظماء الروم، وكثر لغطهم، فلا أدري ما قالوا: وأُمر بنا فأخرجنا، فلما أن خرجت مع أصحابي وخلوت بهم قلت لهم: لقد أَمِرَ[١] أمرُ ابن أبي كبشة[٢]، هذا ملك بني الأصفر[٣] يخافه.

قال أبو سفيان: والله، مازلت ذليلا مستيقنا بأن أمره سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره[٤].

زاد البخاري في روايته في كتاب بدء الوحي:

وكان ابن الناطور - صاحب إيلياء وهرقل[٥] - سُقُفّاً[٦] على نصارى الشام يُحدِّث أن هرقل حين قدم إيلياء[٧] أصبح يوما خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور:

---

(١)أمِرَ - بفتح الهمزة وكسر الميم - أي: عظم. «الفتح».

(٢)أحد أجداد النبي - صلى الله عليه وسلم - لأمه أو لأبيه، أو هي كنية أبيه من الرضاع، واسمه الحارث بن عبد العزى، أو هو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان، فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة. «الفتح: ٤٠».

(٣)هم الروم، لأن جدهم: روم بن عيص تزوج بنت ملك الحبشة فجاء لون ولده بين البياض والسواد فقيل له الأصفر. «الفتح».

(٤)دلائل النبوة: ٤/ ٣٧٧-٣٨٠، وذكر بأن هذه رواية البخاري، وبأن مسلما قد أخرجه من أكثر من طريق، كما أنه مروي عن طريق ابن اسحاق. وانظر البخاري مع شرحه فتح الباري: كتاب بدء الوحي: ١/ ٣١-٣٣ وكتاب الجهاد: ٦/ ١٠٩-١١١؛ ومسلم: كتاب الجهاد والسير: ٣/ ١٣٩٣-١٣٩٧؛ والكامل في التاريخ: ٢/ ٢١٠-٢١٣.

(٥)أي: أمير إيلياء وتابع هرقل أو صديقه. «الفتح».

(٦)السُّقُفّ والأسقف لفظ أعجمي، ومعناه: رئيس دين النصارى. «الفتح».

(٧)عند غلبة جنوده على جنود فارس وإخراجهم، وبلغ المسلمين نصرة الروم على فارس ففرحوا، لأن الروم أهل كتاب وفارس مجوس آنذاك.

وكان هرقل حَزّاءً[1] ينظر في النجوم[2]، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختتن من هذه الأمة؟

قالوا: ليس يختتن إلا اليهود، فلا يُهمَّنَّك شأنهم، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود.

فبينما هم على أمرهم أُتي هرقلُ برجل أرسل به ملك غسّان يخبر عن خبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدَّثوه أنه مختتن.

وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون.

فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر.

ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية[3]، وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص[4]، فلم يَرِم[5] حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنه نبيٌّ.

---

(١) حَزّاء - بالحاء المهملة وبالزاي المشددة آخره همزة - أي: كاهنا. «الفتح».

(٢) وساغ للبخاري إيراد هذا الخبر المشعر بتقوية أمر المنجمين والاعتماد على ما تدل عليه أحكامهم، أنه لم يقصد ذلك، بل قصد أن يبين أن الاشارات بالنبي - صلى الله عليه وسلم - جاءت من كل طريق وعلى لسان كل فريق من كاهن أو منجم محق أو مبطل إنسي أو جني، وهذا من أبدع ما يشير إليه عالم أو يجنح إليه محتج. «فتح الباري: ١/ ٤١».

(٣) هي «روما» عاصمة إيطاليا اليوم.

(٤) من مدن بلاد الشام العريقة، كانت قاعدة حكم هرقل.

(٥) بفتح أوله وكسر الراء، أي لم يبرح من مكانه. «الفتح».

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة[1] له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغُلِّقت، ثم اطَّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرُّشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟

فحاصوا حيصة حُمُر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِّقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردّوهم عليَّ. وقال: إني قلت مقالتي آنفا أختبر بها شدَّتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل[2].

وفي سبل الهدى والرشاد:

فقال الأُسقف قاضيه: أشهد أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخذوه فما زالوا يضربونه ويعضونه حتى قتلوه.

فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك: إنه يُبعث أمّة وحده[3].

وذكر السُّهيلي[4] - رحمه الله تعالى - أن هرقل أهدى لرسول

(١) الدسكرة: القصر الذي حوله بيوت، وكأنه دخل القصر ثم أغلقه وفتح أبواب البيوت التي حوله وأذن للروم في دخولها ثم أغلقها ثم اطلع عليهم فخاطبهم، وإنما فعل ذلك خشية أن يثبوا به كما وثبوا بـ«ضغاطر» الرومي الذي بلغته الدعوة إلى الإسلام فأظهر إسلامه - وكان في الروم أجوز قولا من هرقل - وألقى ثيابه التي عليه ولبس ثيابا بيضا، وخرج على الروم فدعاهم إلى الإسلام وشهد شهادة الحق، فقاموا إليه فضربوه حتى قتلوه. «انظر فتح الباري: ١/ ٤٣».

(٢) صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي. «فتح الباري: ١/ ٣٣».

(٣) سبل الهدى: ١١/ ٣٥٥.

(٤) الفقيه المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي، عميَ وعمره ١٧ سنة وهو صاحب الأبيات التي مطلعها:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع ... أنت المعدُّ لكل ما يُتوقّعُ

من كتبه: الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ. «الأعلام: ٤/ ٨٦».

الله - صلى الله عليه وسلم - هدية وفرّقها على المسلمين، وأن هرقل أمر مناديا: ألا إن هرقل قد آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واتبعه، فدخلت الأجناد[1] في سلاحها، وطافت بقصره تريد قتله، فأرسل إليهم: إني أردت أن اختبر صلابتكم في دينكم، فقد رضيت عنكم، فرضوا عنه، ثم كتب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابا مع دحية يقول فيه: إني مسلمٌ ولكني مغلوبٌ على أمري.

فلما قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابه، قال: كَذَبَ عدوُّ الله، ليس بمسلم بل هو على النصرانية[2].

---

(١) أجناد وجنود جمع جند: الأنصار والأعوان، الواحد: جندي، فالياء للوحدة، مثل روم ورومي. «المصباح: جند».

(٢) سبل الهدى: ١١/ ٣٥٦. وانظر الروض الأنف للسهيلي: ٤/ ١٩٦.

ملوك الروم يتوارثون كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل متبركين به

ذكر السهيلي أنه بلغه أن هرقل وضع كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه في قصبة من ذهب تعظيما له، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه حتى كان عند ملك الفرنج الذي تغلّب على طليطلة، ثم كان عند سبطه، فحدثني بعض أصحابنا أن عبد الملك بن سعيد أحد قواد المسلمين اجتمع بذلك الملك فأخرج له الكتاب، فلما رآه استعبر «أي بكى» وسأل أن يمكّنه من تقبيله، فامتنع[1].

ويروي الحافظ ابن حجر - بسنده - عن سيف الدين فليح المنصوري قال: أرسلني الملك المنصور قلاوون إلى ملك الغرب بهدية، فأرسلني ملك الغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة، فقبلها، وعرض عليَّ الإقامة عنده فامتنعت، فقال لي: لأُتْحِفَنَّك بتحفة سنيّة، فأخرج لي صندوقا مصفّحا بذهب، فأخرج منه مَقلمة ذهب، فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه، وقد التصقت عليه خرقة حرير، فقال: هذا كتاب نبيّكم إلى جدي قيصر، مازلنا نتوارثه إلى الآن، وأوصانا آباؤنا أنه مادام هذا الكتاب عندنا لايزال الملك فينا، فنحن نحفظه غاية الحفظ ونُعظّمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا.

قال الحافظ: ويؤيد هذا .. ما أخرج أبو عبيد في كتاب الأموال من مُرْسَل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله - صلى الله عليه

(١) فتح الباري: ١/ ٤٤. وانظر الروض الأنف: ٤/ ١٩٧.

وسلم - إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزّقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(أما هؤلاء فيُمزّقون، وأما هؤلاء فستكون لهم بقية)**.

ويؤيده ما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما جاءه جواب كسرى قال: **(مزّق الله ملكه)**، ولما جاءه جواب هرقل قال: **(ثبّت الله ملكه)**. والله أعلم[1].

(١) فتح الباري: ١/ ٤٤.

هرقل[1] ملك الروم يرث صور الأنبياء ومنها صورة نبينا صلى الله عليه وسلم عن دانيال[2]

إنَّ آدم – عليه السلام – سأل ربَّه – عز وجل – أن يريه الأنبياء من ولده فأنزل عليه صورهم، وكانت في خزانة آدم عند مغرب الشمس[3] فاستخرجها ذو القرنين[4] فدفعها إلى دانيال ثم آل أمرها إلى هرقل ملك الروم.

أورد البيهقي في دلائله[5]:

---

(١) قيل كان مدة ملكه إحدى وثلاثين سنة «٨-٣٩هـ/ ٦١٠-٦٤١م» وفي أيامه كان النبي – صلى الله عليه وسلم –، ومنه ملك المسلمون الشام. «الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١/ ٣٣٤. وانظر المنجد في الأعلام: ٧٢٧».

(٢) أو «دانال»، اسم نبي غير مرسل كان في زمن «بختنصر» وكان من أعز الناس عنده وأحبهم إليه فوشوا به فألقاه وأصحابه في الأخدود. «تاج العروس – دول –: ٧/ ٣٢٦». وقال في المنجد: عاش مسبيا في بابل . . وسفر دانيال من أسفار التوراة، كتب في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد. اهـ. «ص/ ٢٨١».

(٣) في قصة ذي القرنين في القرآن الكريم «الكهف: ٨٦» ﴿**حتى إذا بلغ مغرب الشمس**﴾ الآية. قال القرطبي في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن، ج/ ١١ ص/ ٥٠»: المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب . . اهـ. وقال ابن كثير «٣/ ١٠٧»: أي فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض . . اهـ.

(٤) اختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا، فقيل: هو الإسكندر الملك اليوناني المقدوني. وقيل: إنه كان مَلَكًا، وسُئل عليٌّ – رضي الله عنه – عن ذي القرنين فقال: كان عبدا ناصحا لله فناصحه، دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله، فدعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين، والله أعلم. انظر: القرطبي: ١١/ ٤٥-٤٨. وابن كثير: ٣/ ١٠٦.

(٥) دلائل النبوة: ١/ ٣٨٦، عن الحاكم إجازة. قال ابن كثير «٢/ ٢٦٢»: وإسناده لا بأس به. اهـ. ورواه أبو نعيم في دلائله: ٥٥. وأورده محمد الصالحي في سبل الهدى والرشاد: ١/ ١٣٥، وقال: وروى ابن عساكر نحوه عن دحية – رضي الله عنه – وذكر ابن ظفر في «خبر البشر» نحوه عن حكيم بن حزام رضي الله تعالى عنه. اهـ. وأورد الحافظ ابن حجر القصة مختصرة في كتابه الإصابة «٣/ ٦٠٤» عند ترجمة هشام بن العاص الأموي نقلا عن البيهقي وأشار إليها عند ترجمته لعدي بن كعب «٢/ ٤٧١» لكنها من وجه آخر قال عنه أنه حديث غريب وإسناده ضعيف. وقال القفال الشاشي: وحديث الصور معروف، قد ذكره أهل النظر في دلائل النبوة، وقد روي بغير هذا الإسناد. اهـ «دلائل النبوة للإمام إسماعيل الأصبهاني: ٣/ ٨٠٥».

عن أبي أمامة الباهلي[1]، عن هشام بن العاص الأموي[2]، قال: بُعثْتُ أنا ورجلٌ آخر من قريش[3] إلى هرقل - صاحب الروم - ندعوه إلى الإسلام، فخرجنا حتى قدمنا الغوطة - يعني دمشق - فنزلنا على جَبَلَةَ بن الأيهم الغسّاني[4]، فدخلنا عليه وإذا هو على سرير له، فأرسل إلينا برسول نكلمه، فقلنا له: والله لانكلم رسولا إنما بُعثنا إلى الملك فإن أذن لنا كلمناه، وإلا لم نكلم الرسول، فرجع الرسول فأخبره بذلك. قال: فأذن لنا، فقال: تكلموا. فكلمه هشام بن العاص، ودعاه إلى الإسلام، وإذا عليه ثياب سواد، فقال له هشام: ما هذه التي عليك؟

فقال: لبستها وحلفت أن لا أنزعها حتى أخرجكم من الشام.

قلنا: ومجلسك هذا - فوالله - لنأخذنه منك، ولنأخذن ملك

---

(١) صُدَي بن عجلان بن الحارث، مشهور بكنيته، صحابي، أرسله النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قومه باهلة فأسلموا جميعا، وشهد أحدا، وكان مع علي بصفين، وسكن حمص، وهو آخر من بقي بالشام من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما قال سفيان بن عيينة. توفي سنة ست وثمانين وله مائة وست سنين. انظر الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ٢/ ١٨٢. والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر «بهامش الإصابة»: ٢/ ١٩٨.

(٢) لعله السهمي وهو أخو عمرو بن العاص كما في وجه آخر أشار إليه الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٢/ ٤٧١ و٣/ ١٠٤، وهشام هذا هو الذي ألقى عن وجهه المغفر وتقدم في نحر العدو في معركة «أجنادين» وهو يصيح بالمسلمين - عندما رأى من بعضهم نكوصا -: يامعشر المسلمين إليَّ، إليَّ، أنا هشام بن العاص أمِنَ الجنة تفرون؟! حتى قتل سنة ١٣هـ. «انظر الاصابة: ٣/ ٦٠٤. والاستيعاب: ٣/ ٥٩٣».

(٣) وفي دلائل أبي نعيم: أن هشام بن العاص ونعيم بن عبد الله ورجلا آخر - قد سمّاه - بُعثوا زمن أبي بكر الصديق.

(٤) آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام، قاتل المسلمين في «دومة الجندل» ١٢هـ وحضر وقعة «اليرموك» ١٥هـ في جيش الروم، وانهزم الروم، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة، وارتد فيها عندما أراد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - الاقتصاص منه للطمه عين رجل، فقال: أوعينه مثل عيني؟! والله لا أقيم ببلد عليّ به سلطان، فدخل بلاد الروم مرتدا، وتوفي بالقسطنطينية سنة ٢٠هـ. انظر الأعلام: ٢/ ١٠٢.

الملك الأعظم - إن شاء الله تعالى - أخبرنا بذلك نبينا - صلى الله عليه وسلم - .

قال: لستم بهم، بل هم قومٌ يصومون بالنهار، ويفطرون[1] بالليل، فكيف صومكم؟

فأخبرناه، فمليء[2] وجهه سوادا، فقال: قوموا.

وبعث معنا رسولا إلى الملك، فخرجنا حتى إذا كنا قريبا من المدينة قال الذي معنا: إن دوابَّكم هذه لاتدخل مدينة الملك، فإن شئتم حملناكم على براذين[3] أو بغال.

قلنا: والله لاندخل إلا عليها.

فأرسلوا إلى الملك: إنهم يأبون ذلك.

[فأمرهم أن ندخل على رواحلنا][4]، فدخلنا عليها متقلدين سيوفنا حتى انتهينا إلى غرفة له، فأنخنا[5] في أصلها، وهو ينظر إلينا.

فقلنا: لا إله إلا الله، والله أكبر.

والله يعلم لقد انتفضت[6] الغرفة حتى صارت كأنها عذقٌ

---

(١) في تفسير ابن كثير «٢/ ٢٦٢»: ويقومون.

(٢) في دلائل البيهقي: «فملأ».

(٣) جمع برذون، وهو التركي من الخيل، وهو خلاف العراب. «المصباح المنير».

(٤) هذه الجملة من تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٦٢.

(٥) أناخَ الرجلُ الجملَ، أي أبركه. «المصباح: المختار».

(٦) هكذا في تفسير ابن كثير وفي دلائل البيهقي وسبل الهدى: «تنفضت»، وفي دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني: «تنقضت»، وفيه قول أبي بكر القفال الشاشي: «وهذه القصة - سوى ما أردنا تعريفه من تقدم علم أهل الكتاب من اليهود والنصارى بنبينا - صلى الله عليه وسلم - باسمه ونعته - ذكر تنقض الغرفة عند ذكر «لا إله إلا الله»، وهذه من المعجزات التي توجد بعد موت الأنبياء كما توجد نظائرها قبل مبعثهم إيذانا بقرب زمان مجيئهم. اهـ. «٣/ ٨٠٧-٨٠٨».

تصفقه[1] الرياح .

فأرسل إلينا : ليس لكم أن تجهروا علينا بدينكم . وأرسل إلينا : أن ادخلوا .

فدخلنا عليه وهو على فراش له ، وعنده بطارقته[2] من الروم وكلُّ شيء في مجلسه أحمر ، وما حوله حمرة ، وعليه ثيابٌ من الحمرة .

فدنونا منه فضحك ، وقال : ما كان عليكم لو حييتموني بتحيتكم فيما بينكم؟ - فإذا عنده رجل فصيح بالعربية ، كثير الكلام - .

فقلنا : إن تحيَّتنا فيما بيننا لاتحلُّ لك ، وتحيّتك التي تُحَيّا بها لايحلُّ لنا أن نحييك بها .

قال : كيف تحيتكم فيما بينكم؟

فقلنا : السلام عليكم .

قال : فكيف تحيّون ملككم؟

قلنا : بها .

قال : وكيف يردُّ عليكم؟

قلنا : بها .

قال : فما أعظم كلامكم؟

قلنا : لا إله إلا الله ، والله أكبر .

فلما تكلمنا بها - والله يعلم - لقد انتفضت الغرفة حتى رفع رأسه إليها .

---

(١) في سبل الهدى : «تعصفه» .

(٢) بطارقة أو بطاركة جمع بطريق أو بطريك : وهو رئيس رؤساء الأساقفة . انظر ص/ ١٧٤ من قصة إسلام سيدنا سلمان الفارسي .

قال: فهذه الكلمة التي قلتموها حيث انتفضت الغرفة، كلما قلتموها في بيوتكم انتفضت عليكم غرفكم؟

قلنا: لا، ما رأيناها فعلت هذا قطُّ إلا عندك.

قال: لوددت أنّكم كلّما قلتم انتفض كلُّ شيء عليكم وإني خرجت من نصف ملكي.

قلنا: لمَ؟

قال: لأنه كان أيسر لشأنها وأجدر أن لايكون مِنْ أمر النبوَّة وأن يكون من حيل الناس.

ثم سألنا عمّا أراد، فأخبرناه.

ثم قال: كيف صلاتكم وصومكم؟، فأخبرناه، فقال: قوموا. فقمنا، فأمر لنا بمنزل حسن ونُزُل[1] كثير، فأقمنا ثلاثا، فأرسل إلينا ليلا، فدخلنا عليه، فاستعاد قولَنا فأعدناه، ثم دعا بشيء كهيئة الرَّبعة[2] العظيمة، مذَهَّبة، فيها بيوت صغار عليها أبواب، ففتح بيتا وقفلا، واستخرج حريرة سوداء فنشرها، فإذا فيها صورةٌ حمراء، وإذا فيها رجلٌ ضخم العينين، عظيم الأليتين، لم أر مثل طول عنقه، وإذا ليست له لحية، وإذا له ضفيرتان، أحسن ما خلق الله تعالى.

قال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

---

(١) بضمّتين، طعام النزيل الذي يهيأ له، وفي التنزيل: ﴿**هذا نزلهم يوم الدين**﴾ [الواقعة: ٥٦]. «المصباح المنير: نزل».

(٢) الربعة - بالتسكين -: جؤنة العطّار. «الصحاح». وقال ابن الأثير في «النهاية» وفي حديث هرقل: «ثم دعا بشيء كالرَّبعة العظيمة»، الربعة: إناءٌ مربع كالجونة ... قال الأزهري: الجونة: سُلَيْلة مستديرة مغَشّاة أدما تكون مع العطارين. اهـ «المختار ...».

قال: هذا آدم[1] - عليه السلام -. وإذا هو أكثر الناس شعرا.

ثم فتح لنا بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها صورة بيضاء، وإذا له شعر كشعر القطط، أحمر العينين ضخم الهامة، حسن اللحية.

قال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا نوح[2] عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، وإذا فيها رجل شديد البياض، حسن العينين، صلت[3] الجبين، طويل الخدِّ، أبيض اللحية، كأنه يتبسَّم.

قال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا إبراهيم[4] عليه السلام.

---

(١) أبو البشر خلقه الله - عز وجل - بيده ثم أخرجه من الجنة بمكيدة من إبليس - لعنه الله - وأنزله إلى الأرض، وتم لآدم في الأرض ألف سنة، وقيل غير ذلك، وصلى عليه - عند موته - ابنه شيث - عليه السلام - ودفن في غار في جبل أبي قبيس يقال له: «غار الكنز» بمكة المكرمة، وقيل: إنه دفن ببيت المقدس «انظر الكامل في التاريخ: ١/ ٥١-٥٢»، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرة.

(٢) ابن لمك بن متوشلخ بن حنوخ، وهو اديس - عليه السلام - ابن يرد بن مهلائيل بن قينان ابن أنوش بن شيث بن آدم، وبعث نوح وهو ابن اربع مائة وثمانين سنة ودعا قومه إلى التوحيد مائة وعشرين سنة ثم مكث بعد غرقهم ثلاثمائة وخمسين سنة، وولد له: «سام» أبو العرب والفرس والروم، و«حام» أبو السودان و«يافث» أبو الترك ويأجوج ومأجوج. «انظر الكامل: ١/ ٥٤-٧٨»، وقد ورد ذكر «نوح» عليه السلام في القرآن الكريم ثلاثا واربعين مرة، إضافة إلى سورة باسمه.

(٣) أي واسعه، وقيل: الأملس، وقيل: البارز. «سبل الهدى: ١/ ١٣٨».

(٤) أبو الأنبياء ابن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن غابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح، ولد بالسوس من أرض الأهواز في عهد «نمرود بن كوش»، ولم يكن بينه وبين نوح نبي إلا هود وصالح، ونجاه الله من نار نمرود التي أوقدها لإحراقه =

ثم فتح بابا آخر، فإذا فيها صورة بيضاء، وإذا - والله - رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال: أتعرفون هذا؟

قلنا: نعم، محمدٌ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال: وبكينا، قال: والله يعلم أنه قام قائما ثم جلس وقال: والله إنه لهو؟

قلنا: نعم، إنه لهو، كأنما ننظر إليه.

فأمسك ساعة ينظر إليها، ثم قال: أما إنه كان آخر البيوت، ولكني عجّلته لكم لأنظر ما عندكم.

ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء، فإذا فيها صورة أدماء سحماء، وإذا رجل جَعْدٌ قَطَطٌ[1]، غائر العينين، حديد النَّظر، عابسٌ[2]، متراكب الأسنان، مُقَلَّصٌ[3] الشَّفة، كأنه غضبان.

فقال: هل تعرفون هذا؟

=وقال لها: ﴿يانار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وهاجر إلى مصر ومعه امرأته «سارة» ابنة عمه «هاران» ومنعها الله - عز وجل - من فرعون مصر «سنان بن علوان» وأعطاها فرعون «هاجر» التي وهبتها إلى ابراهيم فولدت منه «اسماعيل»، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما)، يعني ولادة هاجر، ووهب الله - تعالى - سارة إسحاق - عليه السلام -، وقد بنى إبراهيم - بأمر من ربه سبحانه - الكعبة المشرفة وأذّن في الناس بالحج إليها، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم تسعا وستين مرة، من ذلك: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [آل عمران: ٦٨]. وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير: ١/ ٩٤ وما بعدها.

(١) أدماء: سمراء. سحماء: سوداء. وشعر جعد: ضد السَّبط، فإن وُصف بالقَطَط - بفتحتين - فهو شديد الجعودة كشعر السودان. «سبل الهدى».

(٢) عَبَسَ - من باب ضرب - عُبوسا: قَطَبَ وجهه، فهو عابس، وعبّاس للمبالغة. «المصباح».

(٣) قَلَصَت شفته تقلص - من باب ضرب -: انزوت، وتقلّصت مثله. «المصباح».

قلنا: لا.

قال: هذا موسى[1] - عليه السلام -.

وإلى جنبه صورةٌ تشبهه إلا أنه مدهانٌّ الرَّأس، عريض الجبين، في عينيه قَبَل[2].

قال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا هارون[3] بن عمران.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل آدم، سبط، ربعة[4] كأنه غضبان.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

---

(١) ابن عمران بن يصهر بن لاوي بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم، عاش مائة وعشرين سنة، واسم امرأته: «صفورا» بنت شعيب النبي - عليه السلام -، وفرعون الذي أرسل اليه اسمه: «الوليد بن مصعب» وامرأته: «آسية بنت مزاحم»، وإنما سمي موسى لأنه وُجد في ماء وشجر، والماء بالقبطية: «مو»، والشجر: «سا». وقد ورد ذكره - عليه السلام - في القرآن الكريم مائة وستا وثلاثين مرة، من ذلك: ﴿ **وقال موسى يافرعون إني رسول رب العالمين** ﴾ [الأعراف: ١٠٤] و﴿ **وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم ..** ﴾ [البقرة: ٥٤]. وانظر الكامل لابن الأثير: ١/ ١٦٩-١٩٩.

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث: ٤/ ٨: ق ب ل»: وفي حديث صفة هارون - عليه السلام -: «في عينيه قَبَل»، هو إقبال السَّواد على الأنف، وقيل: هو ميلٌ كالحول. اهـ. قلت: وإقبال السواد على الأنف نوع من الحول.

(٣) أخو موسى - عليهما السلام - وقد أرسل معه إلى فرعون. قال تعالى: ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا** ﴾ [الفرقان: ٣٥]. وكانت وفاته قبل وفاة موسى. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم تسع عشرة مرة.

(٤) رجل ربعة، وامرأة ربعة: أي معتدل. وحذف الهاء في المذكر: لغة، وفتح الباء فيهما: لغة. ورجل مربوع مثله. «المصباح: ر ب ع».

قال: هذا لوط[1] - عليه السلام -.

ثم فتح بابا أخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء، فإذا فيها صورة رجل أبيض، مُشْرَبٌ حمرة[2]، أقنى[3]، خفيف العارضين، حسن الوجه.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا إسحاق[4]، عليه السلام.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة بيضاء فإذا صورة تشبه إسحاق إلا إنه على شفته السُّفلى خال[5].

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا يعقوب[6] - عليه السلام -.

---

(١) رسول الله لوط - عليه السلام - ورد ذكره في القرآن الكريم عشر مرات منها: ﴿ **وإن لوطا لمن المرسلين** ﴾ [الصافات: ١٣٣]، ﴿ **ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١]. وكان ابن أخي سيدنا إبراهيم - عليه السلام - هاران بن آزر بعثه الله إلى أمة تسمّى «سدوم». وصرف «لوط» - مع أنه اسم اعجمي - لخفته لأنه على ثلاثة أحرف وساكن الوسط مثل «نوح». انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٧/ ٢٤٣.

(٢) الإشراب: خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقي اللون الآخر، يقال: بياض مُشْرَب حمرة - بالتخفيف -، وإذا شُدّد كان للتكثير والمبالغة. «النهاية: ش ر ب».

(٣) القنا: احديداب الأنف، يقال: رجل «أقنى» الأنف، وامرأة «قنواء». «المختار: ق ن ا».

(٤) هو سيدنا إسحاق بن سيدنا إبراهيم، وهو والد سيدنا يعقوب، وأخو سيدنا إسماعيل - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام -، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، من ذلك: ﴿ .. **وامرأته قائمة فضحكت فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ [هود: ٧١]. ﴿ .. **وبشّرناه بإسحاق نبيا من الصالحين** ﴾ [الصافات: ١١٢].

(٥) شامة. «انظر النهاية في غريب الحديث: خ ي ل».

(٦) ابن إسحاق بن إبراهيم - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام -، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ست عشرة مرة، من ذلك: ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما**=

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة رجل أبيض، حسن الوجه، أقنى الأنف، حسن القامة، يعلو وجهه نورٌ، يُعرف في وجهه الخشوع، يضرب إلى الحمرة.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا إسماعيل[1] جدُّ نبيِّكم.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة كأنها صورة آدم، كأنَّ وجهه الشمس.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا يوسف[2] - عليه السلام -.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل أحمر، حمش[3] الساقين، أخفش[4] العينين، ضخم البطن، ربعة، متقلِّد سيفا.

= تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله ابائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون﴾ [البقرة: ١٣٣].

(١) ابن ابراهيم - على نبينا وعليهما السلام -، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرة، من ذلك: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ [مريم: ٥٤].

(٢) ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم - على نبينا وعليهم الصلاة والسلام - وله في القرآن الكريم سورة باسمه إضافة إلى ورود ذكره فيه سبعا وعشرين مرة، من ذلك: ﴿.. وكذلك مكَّنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث ..﴾ [يوسف: ٢١].

(٣) وزان فَلس، أي دقيق الساقين. «المصباح: ح م ش».

(٤) الخَفَش: صغر العينين، وهو مصدر من باب تعب، فالذكر أخفش، والأنثى خفشاء. «المصباح: خ ف ش».

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا داود[1] - عليه السلام -.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج حريرة بيضاء، فيها صورة رجل ضخم الأليتين، طويل الرِّجلين، راكب فرسا.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا سليمان[2] بن داود - عليهما السلام -.

ثم فتح بابا آخر، فاستخرج منه حريرة سوداء، فيها صورة بيضاء، وإذا رجل شابٌّ، شديد سواد اللحية، كثير الشَّعر، حسن العينين، حسن الوجه.

فقال: هل تعرفون هذا؟

قلنا: لا.

قال: هذا عيسى بن مريم[3]، عليه السلام.

---

(١) داود بن إيشي من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم جمع الله له الملك والنبوة في بني اسرائيل، وفي عهده مسخ أهل «أيلة» قردة لمخالفتهم أمر الله فاصطادوا يوم السبت. «انظر الكامل في التاريخ: ١/ ٢٢٣». وورد ذكره في القرآن الكريم ست عشرة مرة، منها: ﴿ **ياداود إنَّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقِّ ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ [ص: ٢٦].

(٢) ورد ذكره في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، منها: ﴿ **وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علِمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين** ﴾ [النمل: ١٦].

(٣) ومريم: بنت عمران، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ **إذ قالت امرأة عمران ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محررا** ﴾ [آل عمران: ٣٥]، ﴿ **ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا** ﴾ [التحريم: ١٢]
وعمران - هذا - هو ابن ياشم بن ميشا بن حزقيا من ذرية سليمان بن داود - عليهما السلام - فعيسى - عليه السلام - من ذرية إبراهيم - عليه السلام -، كما قال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ .. **ومن ذريته داود سليمانٍ وأيوب ويوسف وموسى**=

قلنا: من أين لك هذه الصّور، لأنا نعلم أنها على ما صُوِّرت عليه الأنبياء - عليهم السلام -، لأنّا رأينا صورة نبينا - صلى الله عليه وسلم - مثله؟

فقال: إنَّ آدم - عليه السلام - سأل ربَّه أن يُريه الأنبياء من ولده، فأنزل عليه صورهم، وكان في خزانة آدم - عليه السلام - عند مغرب الشمس، فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها إلى دانيال[1].

ثم قال: أما والله وددت أنَّ نفسي طابت بالخروج من ملكي وأني كنت عبدا لأشرِّكم ملكةً حتى أموت.

ثم أجازنا فأحسن جائزتنا، وسرَّحنا.

فلما أتينا أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - حدَّثناه بما رأينا، وما قال، وما أجازنا. قال: فبكى أبوبكر، وقال: مسكين، لو أراد الله - عز وجل - به خيرا لفعل.

ثم قال: أخبرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنهم واليهود يجدون نعت محمد - صلى الله عليه وسلم - عندهم.

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بعث دحية الكلبي

=وهارون وكذلك نجزي المحسنين. وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلٌ من الصالحين﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٥]. «انظر تفسير ابن كثير: ١/ ٣٦٧ و٢/ ١٥٩-١٦٠». وقد ورد «عيسى بن مريم» في القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة، كما ورد «المسيح» إحدى عشرة مرة، ولمريم في القرآن الكريم سورة باسمها وقد ورد ذكرها فيه مجردا إحدى عشرة مرة، من ذلك: ﴿وإذ قالت الملائكة يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣].

(١) وفي دلائل النبوة للإمام الحافظ موفق الدين إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني «٣/ ٨٠٥» زيادة: (فصوَّرها دانيال في خرق من حرير، فهذه بأعيانها الصور التي صورها دانيال). اهـ.

بكتابه إلى هرقل وجرى ما جرى آنذاك كما ذكرنا ذلك سابقا، قال دحية: ثم بعث إليَّ من الغد سرّاً فأدخلني بيتا عظيما فيه ثلاثمائة وثلاث وعشرون صورة، فإذا هي صور الأنبياء والمرسلين.

قال «هرقل»: انظر، أين صاحبك من هؤلاء؟

فرأيت صورة النبي - صلى الله عليه وسلم - كأنه ينطق، قلت: هذا.

قال: صدقت.

فقال «هرقل»: صورة مَنْ هذا عن يمينه؟

قلت: رجلٌ من قومه، يقال له: أبوبكر.

قال: فمن ذا الذي عن يساره؟

قلت: رجلٌ من قومه يقال له: عمر.

قال: إنا نجد في الكتاب أنَّ بصاحبيه هذين يتم الله هذا الدين.

فلما قدمت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخبرته، فقال: صدق، بأبي بكر وعمر يتم الله هذا الدين بعدي[1].

والظاهر أن هذه الصور أو بعضها كان بعض أهل الكتاب يعتنون بنسخها والاحتفاظ بها يدلك على هذا ما رواه الأئمة[2] عن جبير بن

---

(١) سبل الهدى والرشاد: ١١/ ٣٥٥.

(٢) البخاري في التاريخ الكبير: ١/ ١٧٩. والحافظ أبو القاسم الطبراني (كما نقل عنه الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى [الأعراف: ١٥٧]: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل.** ﴾ الآية. «٢/ ٢٦٤». والبيهقي في دلائله: ١/ ٣٨٤. واللفظ له، وذكره محمد بن يوسف الصالحي في «سبل الهدى والرشاد»: ١/ ١٣٧-١٣٨.

مطعم[1] - رضي الله عنه - قال :

لما بعث الله - عز وجل - نبيه - صلى الله عليه وسلم - وظهر أمره بمكة خرجت[2] إلى الشام، فلما كنت ببصرى[3] أتتني جماعة من النصارى،

فقالوا لي : أمِنَ الحرم أنت؟

قلت : نعم .

قالوا : أفتعرف هذا الذي تنبّأ فيكم؟

قلت : نعم . قال : فأخذوا بيدي فأدخلوني ديرا[4] لهم فيه تماثيل وصور .

فقالوا لي : انظر، هل ترى صورة هذا النبيِّ الذي بُعث فيكم؟

فنظرت فلم أر صورته . قلت : لا أرى صورته . فأدخلوني ديرا أكبر من ذلك الدَّير، وإذا فيه تماثيل وصور أكثر مما في الدير .

فقالوا لي : انظر، هل ترى من صورته؟

فنظرت فإذا أنا بصفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصورته، وإذا أنا بصفة أبي بكر وصورته وهو آخذٌ بعقب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

---

(١) ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أسلم عام خيبر، وكان يؤخذ عنه النسب، وممن يتحاكم إليه كما فعل عثمان وطلحة في قضية لهما، توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ. «انظر تهذيب التهذيب لابن حجر : ٢/ ٦٣» .

(٢) تاجرا، كما عند البخاري والطبراني .

(٣) مركز حوران، من أعمال دمشق، وهي التي وصل إليها النبي - صلى الله عليه وسلم - للتجارة، قبل البعثة . «انظر معجم البلدان، ومراصد الاطلاع» .

(٤) سريانية : مقام الرهبان أو الراهبات، جمعه : أديرة، وأديار، وديورة، والنسبة إليه : ديراني، على غير قياس . انظر : المنجد، والمصباح : د ي ر .

وقالوا لي: هل ترى صفته؟

قلت: نعم.

قالوا: أهو هذا؟، واشاروا إلى صفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قلت: اللهم نعم، أشهد أنه هو.

قالوا: أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟

قلت: نعم.

قالوا: نشهد أنَّ هذا صاحبكم، وأنَّ هذا الخليفة من بعده[1].

---

(١) وفي رواية الطبراني والبخاري قولهم: إنه لم يكن نبيٌّ إلا كان بعده نبيٌّ إلا هذا النبي، فإنه لا نبيَّ بعده.

الخاتمة

أرجو أنني وفقت إلى ما أردت. وقد تأكد لي بعد هذا البحث أن من وقف على آيات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وجب الإيمان بها واعتناقها فإن لم يفعل فهو كافر بالله رب العالمين لايقبل الله منه صرفا ولاعدلا[1] ومأواه جهنم وبئس المصير، وقد حرم نفسه من سعادة الأبد وأوردها موارد التعاسة وشقاوة الأبد.

وكان جديرا باليهود - وهم أهل الكتاب الأول - وكذلك النصارى أن يكونوا أول المؤمنين به - صلى الله عليه وسلم - كيف وقد عرفوه أنه هو النبي الذي بشَّرت به الأنبياء ووردت صفته وبيان أحواله في كتبهم، لكن الذي منعهم من هذا الخير العظيم:

١ - تكبّرهم وعلوّهم بغير حق وظلمهم.

٢ - أنفتهم من اتباع نبيٍّ هو من أبناء إسماعيل بن إبراهيم، وهم من أبناء إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

٣- أن الأوس والخزرج «بنو قيلة» قد سبقوهم إليه فمنعهم كبرهم من أن يكونوا بعدهم في الإيمان[2].

---

(١) الصرف: التوبة. والعدل: الفدية. «انظر المصباح: صرف».

(٢) لما أراد الله - عز وجل - إظهار دينه، وإعزاز نبيه - صلى الله عليه وسلم -، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الموسم.. فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا.. قال لهم: مَنْ أنتم؟ قالوا: نفرٌ من الخزرج. قال: أمنْ موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه، فَدعاهم إلى الله - عز وجل -، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن. قال بعضهم لبعض: ياقوم، تعلموا - والله - إنه للنبي الذي توعَّدكم به يهود، فلا تسبقنّكم إليه. فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدّقوه، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام. وكان يهود معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكان الأوس والخزرج أهل شرك =

نتائج وآثار طاعة النبي - ﷺ - واتباع هديه :

١ - الهداية والتوفيق إلى الخير :

قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ [النور : ٥٤] .

وقال سبحانه : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) ﴾ [الأعراف] .

٢ - الفوز بالجنة ومرافقة الأخيار من عباد الله فيها :

قال عز وجل : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) ﴾ [النساء] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ (١٧) ﴾ [الفتح] .

٣ - الشمول برحمة الله تعالى :

قال سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ (١٥٧) ﴾ [الأعراف] .

نتائج وآثار مخالفة الرسول - ﷺ - ومعصيته :

١ - حلول سخط الله وغضبه وسوء عقابه كما فعل سبحانه

=وأصحاب أوثان . . فكانوا إذا كان بينهم شيء قال يهود لهم : إن نبيًا مبعوث الآن ، قد أظلّ زمانه نتّبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . «انظر السيرة : ١ / ٤٢٨ و٤٢٩ و٥٤١ . وتفسير ابن كثير : ١ / ١٢٩» .

وتعالى بثمود قوم صالح، وعاد قوم هود، وأصحاب الأيكة، وقوم تبّع، وبني إسرائيل، لما عصوا رسلهم.

٢- إصابة الفتنة والعذاب الأليم من خالف هدي رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - قال الله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [النور: ٦٣].

فقوله: ﴿ **عن أمره** ﴾ أي عن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قُبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائنا مَنْ كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: **(من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ)**[1].

فليحذر وليخش من خالف شريعة رسول الله باطنا وظاهرا ﴿ **أن تصيبهم فتنة** ﴾ في قلوبهم من كفر أو نفاق، أو بدعة، ﴿ **أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ في الدنيا بقتل أو حدٍّ أو حبس أو نحو ذلك كما روى الإمام احمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: **(مَثَلي ومَثَلكم كمَثَل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدوابُّ اللائي يقعن في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهنَّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، قال: فذلك مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار: هلُمّ عن النار. فتغلبوني وتقتحمون فيها)**[2].

---

(١) ابن كثير: ٣/ ٣١٩.

(٢) المرجع السابق: ٣/ ٣١٩. وقال: أخرجاه من حديث عبد الرزاق.

فطاعة واتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - تؤدي إلى خير الدنيا والآخرة ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف] .

وفقنا الله لطاعته واتباع هدي عبده ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وحشرنا في زمرته وتحت لوائه يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين[1] .

---

(١) فرغت من كتابته عصر الجمعة المباركة الثامن عشر من ربيع الأول لعام ألف وأربعمائة وسبعة عشر من هجرة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وذلك في حي الزهراء بمكة المكرمة حرسها الله ، وزادها شرفا . جعله الله خالصا لوجهه الكريم وتقبله بقبول حسن ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، أشرف خلقه محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

نزار بن عبد الكريم بن سلطان الحمداني

فهرس المحتويات

صدر من هذه السلسلة

الرقم	العنوان	المؤلف
١ –	تأملات في سورة الفاتحة	د. حسن باجودة
٢ –	الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه	أ. أحمد محمد جمال
٣ –	الرسول في كتابات المستشرقين	أ. نذير حمدان
٤ –	الإسلام الفاتح	د. حسين مؤنس
٥ –	وسائل مقاومة الغزو الفكري	د. حسان محمد مرزوق
٦ –	السيرة النبوية في القرآن	د. عبد الصبور مرزوق
٧ –	التخطيط للدعوة الإسلامية	د. محمد علي جريشة
٨ –	صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية	د. أحمد السيد دراج
٩ –	التوعية الشاملة في الحج	أ. عبد الله بوقس
١٠–	الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره	د. عباس حسن محمد
١١–	لمحات نفسية في القرآن الكريم	د. عبد الحميد محمد الهاشمي
١٢–	السنة في مواجهة الأباطيل	أ. محمد طاهر حكيم
١٣–	مولود على الفطرة	أ. حسين أحمد حسون
١٤–	دور المسجد في الإسلام	أ. محمد علي مختار
١٥–	تاريخ القرآن الكريم	د. محمد سالم محيسن
١٦–	البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام	أ. محمد محمود فرغلي
١٧–	حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد الصادق عفيفي
١٨–	القرآن الكريم كتاب أُحكمت آياته [١]	أ. أحمد محمد جمال
١٩–	القراءات : أحكامها ومصادرها	د. شعبان محمد اسماعيل
٢٠–	المعاملات في الشريعة الإسلامية	د. عبد الستار السعيد
٢١–	الزكاة : فلسفتها وأحكامها	د. علي محمد العماري
٢٢–	حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم	د. أبو اليزيد العجمي
٢٣–	الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا	أ. سيد عبد المجيد بكر
٢٤–	الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر	د. عدنان محمد وزان
٢٥–	الإسلام والحركات الهدامة	معالي عبد الحميد حمودة
٢٦–	تربية النشء في ظل الإسلام	د. محمد محمود عمارة
٢٧–	مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي	د. محمد شوقي الفنجري
٢٨–	وحي الله	د. حسن ضياء الدين عتر
٢٩–	حقوق الإنسان وواجباته في القرآن	أ. حسن أحمد عبد الرحمن عابدين
٣٠–	المنهج الإسلامي في تعليم العلوم الطبيعية	أ. محمد عمر القصار
٣١–	القرآن كتاب أُحكمت آياته [٢]	أ. أحمد محمد جمال

١٣٧ – التنمية والبيئة دراسة مقارنة	د. شوقي أحمد دنيا
١٣٨ – الشريعة الإسلامية شريعة العدل والفضل	د. محمود محمد بابللي
١٣٩ – سقوط الأيديولوجيات	أ. أنور الجندي
١٤٠ – الطفل في الإسلام	أ. محمود الشرقاوي
١٤١ – التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها	أ. فتحي بن عبد الفضيل بن علي
١٤٢ – لمحات من الطب الإسلامي	د. حياة محمد علي جفاجي
١٤٣ – الإسلام والمسلمون في ألبانيا	د. السيد محمد يونس
١٤٤ – أحمد محمد جمال (رحمه الله)	مجموعة من الأساتذة الكُتّاب
١٤٥ – الهجوم على الإسلام في الروايات الأدبية	أ. أحمد أبو زيد
١٤٦ – الإسلام والنظام العالمي الجديد (الطبعة الثانية)	د. حامد أحمد الرفاعي
١٤٧ – من جماليات التصوير في القرآن الكريم	أ. محمد قطب عبد العال
١٤٨ – الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي	أ. زيد بن محمد الرماني
١٤٩ – الماسونية والمرأة	أ. جمعان بن عايض الزهراني
١٥٠ – جوانب من عظمة الإسلام	أ. اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي
١٥١ – الأسرة المسلمة	د. حسن محمد باجودة
١٥٢ – حرب القوقاز الأولى	د. أحمد موسى الشيشاني
١٥٣ – المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة النبوية – الجزء الثاني	أ. زيد بن محمد الرماني
١٥٤ – المسلمون في جمهورية الشاشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي	د. السيد محمد يونس
١٥٥ – القدس في ضمير العالم الإسلامي	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٦ – الطريق إلى الوحدة الإسلامية	اعداد مجموعة من الباحثين
١٥٧ – المركز القانوني الدولي لمدينة القدس	د. جعفر عبد السلام
١٥٨ – الحوار النافع بين أصحاب الشرائع	أ. عبد الرحمن الحوراني
١٥٩ – الإنسان والبيئة	أ. علي راضي أبو زريق
١٦٠ – الإسلام وأثره في الثقافة العالمية	أ. محمود الشرقاوي
١٦١ – الموت .. ماذا أعددنا له ؟	أ. عبد الله أحمد خشيم
١٦٢ – زواج المسلمة بغير مسلم وحكمة تحريمه	د. محمود محمد بابللي
١٦٣ – عطاء الإسلام الحضاري	أ. أنور الجندي
١٦٤ – إحياء الأراضي الموات في الإسلام	أ. عاطف أبو زيد سليمان علي
١٦٥ – أهمية يوم الجمعة (خطب مختارة)	أ. محمد بن سليمان الأهدل
١٦٦ – البوسنة والهرسك .. أرقام وحقائق	أ. خالد الأصور
١٦٧ – المسلمون في لاوس وكمبوديا	أ. محمد بن ناصر العبودي
١٦٨ – المشكلات التربوية والدينية عند المسلمين في المجتمع الهولندي	أ. ابراهيم الدرعاوي

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة